عن القمر والطين

صلاح جاهين

شوفى قد إيه

يا بخت من يقدر يقول
واللى ف ضميره يطلّعه
يا بخت من يقدر يفضفض بالكلام
وكل واحد يسمعه
يقف فى وسط الناس ويصرخ : آه يا ناس
ولا ملام
ييجى الطبيب يحكى له ع اللى بيوجعه
يكشف مكان الجرح ويحط الدوا
ولو انكوى
يقدر ينوح
وأنا اللى مليان بالجروح
ما اقدرش اقول
ما اقدرش ابوح
والهم يسكن صدرى ما اقدرش انزعه
شوفى قد إيه ؟
احنا النهارده إيه فى أيام السنة
شتا والا صيف ؟
وفين أنا ؟
ايه اللى وصلنى هنا ؟
أنا صاحب البيت والا ضيف ؟
صوتى انحبس
ما اقدرش اقول
ما اعرفش حاجه عشان اقول
ما اعرفش غيرك انتى بس
يا بت يا للى ف حبك العقل اتهوس
مكان غريب
كأنه سجن كأنه مخدع لحبيب
كأنه بير

شباك حديد وعليه ستاير من حرير
والريح بينفذ منه زى المسامير
الريح عوى
قلبى انقبض
قلبى اتلوى
الشمس تَلْج اصفر شعاعها صاروخ هوا
الضلمة تَلْج اسود كتير
ألوف ألوف القناطير
خبيبتى فى شعورك يا بت
أحسن عروقى اتخشبت
شعرك خشن زى الحِرام الصوف يا بت
خيبتى فيه م الزمهر ير..
ونيِّمينى فى السرير
دخل النبى بردان خديجة لفته
حطت عيله غطيان لحد ما دفته
دخل النبى بردان وقال : فين الغطا ؟
البسمة غطت شفّته.

يابو قلب وحيد

يابو قلب وحيد... أنا زيك تعالى
لنا عمر جديد نهايته بعيد... تعالى
يا غريب الروح... إليك الروح رسالة
" تعالى "
اِنت من غيرى وانا من غير حنان
ياما قلبى من شقاه دق البيبان
كل باب مقفول على جنينه هنا
وابو قلب وحيد مالوش فيها مكان

فين بلاد الحب فين ؟رض الهوى ؟
اللى فيها الناس بتتهنى سوا
ردِّ من قلبى كلام قال مش بعيد
يا جريح القلب فى إيديك الدوا

يا غريب... قلبى أنا أرض المعاد
يا صباح الخير على يَّامنا الجداد
مد إيدك خد بإيدى وابتسم
خد بإيد عمرى وخد عهد الوداد

رقص الغوازي

يا ابن الناس الغلابة
فرحك فى شهر بابه
إنده لابوك وجيبه
يحضر ساعة الكتابة
أصل اللى ابوه يسيبه
تطمع فيه الديابة
يا ابن الناس الغلابة

يا ابن الناس الغُنَاى
فرحك مأذونه جاى
ما تجيبش ابوك وناسك
ناسك يا واد قواى
واروث وهات ميراثك
اشترى سكر وشاى
يا ابن الناس الغُنَاى

المغنى المتجول

مغنواتى.. مغنواتى
عواد... قانونجى.. رقاق. نایاتى
الفن عندى هو حياتى
سفر يوماتى
سهر ليلاتى
أنشِد آهاتى
وقهمقاتى
واقول يا دنيا
خدى وهاتى
دَنَا المغنى والمغنواتي

أغنية ولد صغير

ح اجرى كأنى فوق حصان
وح اطير كأنى بأجنحة
جميلة جداً الغيطان
والفسحة فيها مُفْرحة

لو كنت رسام كنت جيت
ومعايا شنطة فيها زيت
ورسمت كل غيط وبيت

لو كنت شاعر كنت اقول
عن الجداول والحقول
قصيدة فيها ألف بيت
لو كنت ده أو كنت ده
مش ح افرح اكتر من كده
مافيش لزوم اقول يا ريت

والنسمة بتمر بحنان
والشمنس حلوه مصحصحة

جميلة جداً الغيطان
والفسحة فيها مفرحة

أغنية إلى ذكرى صديق

الشعر شارد فى الجبل منى
عملت انا هجان ورحت وراه
قلبى دليلى يطير ويغنى
عصفور جناحه بدمه متحنى
لففنى لففنى الجبل ولا تاه
تسقي الرياح سبعين صباح وصباح
قلبى دليلى وانا وراه سواح
والشعر شارد فى الجبل منى
حبيت غزال غنيت له بالموال
صد الغزال ساق الدلال أهوال
حبيت غزال غنيت له غنيوه
صد الغزال علشان ما هو حليوه
غنِّيت له رصد
هجَر بقصد
غنِّيت صَبَا
جافى ونبا
غنِّيت له بياتى
رقَّاص انا وشاعر ونایاتى
وافدى رفاق الفن بحياتى
وافديك يا نجم اخضر يا بياتى
أفديك انا
يا عندليب ع المشنقة عشة
عافر مع الجلاد قام هشه
علشان يروق الجو لفعَاله
يقتل ويعمل كل ما بداله
يهبش فى ورد الحب ويحشّه
صوتك من البلد البعيد جاله
عدَّى من الحراس وعدَّاله

وكأن يد الرب نازلا له
تكشف نقاب الغش عن وشه
افديك انا
يا عندليب ع المشنقة عشه
خارج فى يوم العيد وقلبى سعيد
شفت البنات يتعاجبوا فى الألوان
كأنهم أغانيك يا بياتى
يابو الأغانى الزرقا والخضرا
وكأن حملك بان وآن له أوان
مديت خيالى للعراق... لبعيد
لابنك " على " وهاديته بالّونة
كاتب عليها جميع حكاياتى
كان يا ما كان
ملك الزمان
كان يا ما كان
ظلم وهوان
إنسان جعان
كان يا مكان
وكأن حلمك بان وآن له اوان
الغنوه زرقا والكلام بجناح
فتحت انا للشمس شباكى
على قاعدة الشباك انا تاكى
بين شفّتى وصوابعى نای نواح
تسقى الرياح سبعين صباح وصباح
قلبى دليلى وانا وراه سواح
والشعر شارد فى الجبل منى

ح نروح فين؟

ح نروح فين ؟
كفاية
فرحنا يومين
كفاية
يا ما اتقابلنا
ويا ما قلنا
يا حبيبى ويا ما اتهنّينا
لا يوم غُلُبنا
م اللى فى قلوبنا
ولا دبنا من دمع عينينا
لكن اللى سهر على طول
إحساس كان حارمنى النوم
فى اللحظة الجميلة يقول
راح يخلص ده كله فى يوم
ومفيش حكايه من غير نهاية
كفاية كفاية
ح نروح فين؟
مفيش حكاية
من غير نهاية
يا هنايا ودنايايا وحبى
ويوم فراقنا
عارف طريقنا
وح يجيلنا مهما ح نخبى
نتفارق يا روحى قوام
وكفاية علينا كلام
أتالم سنين من اللوم
أهون لى من اللوام
ومفيش حكاية من غير نهاية
كفاية.

ولد وبنت

ولد وبنت
ولد وبنت
كل الجنينة
ولد وبنت
يا حب حاسب ده هنا
وردةو ولد
ووردة بنت

كان فيه بِنَيّه
خرجت شويه
فى المغربية
بص لها حوِّد
وقال أهيًّا
سلم عليها
فهمت إيديها

قالت عينيها
خلاص آمنت

خجلانة هِيِّاً
ومستحية
لكن هنية
قال كلمة هوه
وف قلبه جوه
ناره القوية
قال يا آمالى
قالت يا غالى
غيرت حالى
ساعة ما بِنت

الوقت مِسا
وهِىّ لسة
ولا هىّ حاسة
آدم وحوا

هى وهو
اثنين فى قصة
لكن ساعتها
شافت ساعتها
رجعت لبيتها
وانا . . ؟
حزنت . .

انا اللى كاتب الغنوة دِيّا
انا الولَيِّد
صاحب البنية
اللى عيونها
قالت آمنت

اسكندرانى

إسكندرانى إسكندرانى
عيونه حلوه ومحيَّرانى
أنا هويته
لما لقيته
عيونه خضره وهُوَّ اسمرانى

يا زمرد يا فاروز
يا بخت اللى يفوز
فُزنا بنظرة عين
ودِّتنا على فين ؟
ودِّتنا كرموز
البحر هادى.. والا إيه ؟
باحاول افهم من عينيه
والنن الاخضر
يحكم ويقدر
وانا اللى ما اقدرشى عليه
لاسكندرانى

بحر الحب غميق
كل شويه غريق
انا خدنى التيار
تعالالى يا بحار
لو فيك قلب رقيق

لو قلبك اخضر لون عينيك
لا اخاف عليّا ولا عليك
وان كنت قاسى
يا ما ح ا قاسى
وانا اللى روحى بين إيديك

يا اسكندرانى
آه يا أطبا
آه م اللى بيا
ضيعت قلبى فى اسكندرية
راحت هناوة البال من حياتى
ساعة ما سلّط عينيه عليّا
لما انشبك قلبى .. ومال
ما بقاش فى صدرى على الشمال

بس المحبه
مالهاش أطبا
يشفونى من جرح الجمال
لاسكندرانى

فاطمة

المَكَن داير بيطبع ليل نهار
ليل ونهار داير بيطبع المَكَن
من سنين تلاتين وخمسه
المَكَن ما سكتش همسه
إمتى ماتت فاطمة ال يوسف وكم فات من زمن؟
قالوا من ستين
ضحكت وقلت لأ
إللى بيموت قلبه يسكت
ولا نسعملهش دق
بس دي لسه بينبض قلبها
قلبها بينبض بينبض ليل نهار .

حدوتـــــة

لو كنتى ست الحسن والجمال
يكون أبو زيد الهلالى.. أنا
لكى أول الحدوتة فى الدلال
وانا آخر الحدوتة ليّا الهنا

دقيت عليكى الباب كتير
رد الصدى وقال يا أمير
ما بينكم البحر الكبير
دقيت على الباب بالإيدين
رد الصدى وقاللى يا زين
بينك وبينها بلدين

أنا قلت لو بينى وبينها السما
مغرم بها وهِيّا كمان مغرمة

آه من طريقك الطويل
ولا لِيّا غير قلبى دليل

حالى يا ست الحسن خال
إرخى شعورك الطوال
خُدينى من حر الجبال

وان ما لقيت عندك لقلبى دوا
لا عشق عيون الشمس واهوى الهوا

صبرت لما الود بان
عملت انا التختروان
وحملت قلبى شمعدان

دوبت لك بحر الهوى
فى كلمة ح نقولها سوا
ونقول ده عنقود واستوى

والناس تشوفنا تقول يا ست البنات
حدوته آخرتها التبات والنبات

بكائية

نزل المسيح من ع الصليب
نزل ونام
فى مرج دمع
من غير قميص
وتلج شمع
والمجدليه تميل عليه وتنوح تنوح
تنده عليه
تلاغيه
تولول
تحضنه
تندب عليه وكأنها بتهنِّنه
تجدل له مهده من جدايل شعرها
وتدفنه فى صدرها

ما رضعش منها إلا جرح من الجروح

أغنية للقطن

يا معجبانى يا ابيض يا معجبانى
يا قطن ياللى مبيّض وش الغيطانى
يا معجبانى يا ا بيض يسعد صباحك
يا قطن يا للى مبيض وش فلاحك
وبعوده الأيام يا حبايب فى سلام
وبلدنا عروسة لابسه التوب ابيضانى
يا معجبانى يا ابيض يا معجبانى
سهروا الجدعان ليالى على المراوى
مواويلهم والليالى تسقى التقاوى
كل الغناوى فيها طبيب مداوى
والزرعة لم ييحيها كانى والاّ مانى
في عينين كل الناس.. يقفوا لك حراس
يا قطن لما تدور على العيدانى
يا معجبانى يا ابيض يا معجبانى

الحلوة القطن نور ما بين إيديها
والسعد قمر مصوّر قابل عليها
شدت حزامها ورنت بخلخاليها
جنت المحصول وغنت أحلى الغانى
قطن يا قطن يا قطن.. تعالا لى بالحضن
ولا احطك غير فى عبى من فيض حنانى
يا معجبانى يا ابيض يا معجبانى

النجوم

حضنت عودي باغنى
عود الحبيبه فتنى
أغنى غنوه حزينة
والاّ ح تبعِدها عنى
يالحن عاشق وحالم
طالع سلالم سلالم
إمتى اطول النجوم؟

عاشق دواه المحبة
حرام يا شابه ده عاشق
سافروا له ياما أطبا
ورجعوا والسهم راشق

والحلم يلمس فؤادى
يهمس يغنى ينادى
آه لو اطول النجوم

أغنية البنت أم ضفيرة

آه.. بدك تعمل حيلة وتاخد قلبى؟
آه... قلبى قليل الحيلة يانا يا غلبى
دنيا الحب كبيره
وانا لسه بضفيره
وإن حسيت بالحيره
آه يا نا يا غلبى

أمّى قالت لى: حسك عينك.. قلبك اوعيله
ضُمّى على قلبك دراعينك.. لا الحب يجيله
مرت نسمة قوية شوية
فيها قسوة على حِنّيه
أعمل إيه فيك انت وهيا
ده انا متوصية
لا اكلم حد
هزار ولا جد
وطول السكة امشي بمد
فاهم ؟
آه...

قلبى اتدارى وقال: انا خايف.. إمشى الناحيادى
والناحيادى لمحت شفايف.. تهمس وتنادى
تبكى تتنهد وتغنى
وتقول لى كلام اكبر منى
ولا فيه ولا كلمة تطمننى
بَعّد بقى عنى
لا تبتسم
ولا تسلم
لا احبك وارجع اتألم

فاهم؟

آه....

بدك تعمل حيلة.. وتاخد قلبى

عصفــورة

أنا زى ما اكون عصفور وعازوه تطير
واقفة وخايفة على جناحها
م الهوا لما يطوّحها
والهوا طول عمره بينده للعصافير
وانا لما هواك نده
رديت باللحن ده
أوصيك..
أوصيك بيا
أنا شفت عيون حلوه ومتبسمه
أتاريها عيون قادره ومتحكّمه
يا حبيبى أمانه عليك قلبى وروحى
ده انا لسه يادوب على أول سلّمه
وحياة ما سحرتنى
وف يوم غيرتنى
أوصيك...
أوصيك بيا
إعمل لي الحب جنينه وفسَّحني
م الفجر اقطف لي الورد وفرّحني
ون قلت كفاية الشمس خلاص غابت
والنبي نور لي السكة وروَّحنى
يا بدر فى السما
عمر ما قلبي اترمى
أوصيك
أوصيك بيا

أغنية من الشباك

انا هنا يا بن الحلال
لا عايزه جاه ولا كتر مال
باحلم بعش أملاه أنا
سعد وهنا
مليت لك القه
عطشان تعالى يا جميل يالّه
مليت لك الأريق
عطشان تعالى والسلامة طريق
أنا ورا الشباك
سهرانه باستناك
علمت قلبى هواك
من قبل ما تجينى ولا اتملّى
وان جيتنى يا مهنى
ندرن عليا العين والنني
وان جيت تدق الباب
ندرن عليا القلب شيلُه حجاب
فرشت لك رمشى
اخطر عليه وامشى
م الشوق ما بانامشى
باستنى.. حتى العمر مستنى
فى الغيب انا شايفاك
قلبى انكشف عنه الحجاب ولقاك
فى الغيب انا شفتك
قلبى شاورلى عليك وعرفتك
انت اسمرانى جميل
لك غيه فى المواويل
والقلب لك بيميل
من قبل ما يكون لى نصيب وياك
وانا هنا ...

أهل الهوى

(١)

اللحم طين والعروق دود من ديدان الطين
آدم وحوا على أرض العدم حاطين
عاقبهم الرب.. أخرجهم
من الجنة
آدم عمل حضن حوا جنته وغنى
الناس تتهتنى مهما يكونوا منحطين

(٢)

الولف لو شاف وليفته ورا الجبل هدمه
ياميت ندامة على جبلين واصطدموا
اتهد منهم جبل اسمه هابيل وانهار
قابيل أخوه اللى قاتله سكب دموع أنهار
واللى افتتن بالنهار... بالليل يا ندامه

(٣)

مرات عزيز مصر شابة وجوزها راجل كهل
يوسف حليوة فلسطينى عديم الأهل
فؤادها قاد نار وصار تحت النهود لاعب
تهبش فى يوسف وتترجاه وتداعب
والعقل صاعب لكين خلق المتاعب سهل

(٤)

وفى التاريخ كليوباترا الاسمرانيه
كانت غرامها غرام اسكندرانيه
غرام عنيف له حفيف تعبان ولسعة نار
من عشقها لحسنها خافت عليه يحتار
واختارات الانتحار... المعجبانيه

(٥)

من برق سيف الجدع.. يطلع صباح أمله
عنتر معنتر لكين مسكين أبوه همله
بسيفه قدّف فى بحر الدم عدّاه عوم
ولجل عبلة وقلبه منها.. ساد القوم
والحُر له يوم يدوق الشهد من عمله

(٦)

عالم من الهمس من غير أمس من غير غد
الشمس ليلى.. القمر ليلى.. السؤال والرد
ليلى.. ومجنونها قيس هايم يقول ليلى
دي مهما كانت لغيري وقسمتي مايلة
الروح ما دام طايله.. ما يهمش تنول اليد

(٧)

عنتر من الغرب، أسمر، يند هوله عطيل
كلل على ديد مونه وشالها في عينيه شيل
بياض عيونه لمع من ضي حلاوتها
أولاد حرام غيروه بالغيره موّتها
والغيره غشوتها ما تفرق نهار من ليل

(٨)

كل الأحبة على حبال الهوى طالعة
فاكرين نجوم السما شبابيك غرام والعة
انظر لروميو الجرىء طالع يشوف جولييت
تعرف بأن الغرام يكره ببيان البيت
وان كنت حبيت ما تهزم قلبك القلعه

(٩)

الريح تباريح جريح ما ينتهيله أنين

حسن قتيل من سنين ونعيمه فى المجانين
على كل ملقف هوا تستتى تستتى
يحيلها صوت كله موت ويئن له انه
والحب له ناس فى جنه وناس غلبانين

(١٠)
كان يا ما كان فيه ملك لكن مالوش أحباب
عشق رمى التاج وعاش العمر كله شباب
فيه ناس يقولوا عليه مجنون وناس جاحد
وانا اقول ابيع عمري كله بيوم غرام واحد
ده الحب والحق واحد يا أولى الأ لباب

ميـــــلاد

بعدت ولادتي في الزمن تلاتين سنه
صبحت تاريخ زى السيوف والسقايين
زى الشراكسة والشموع والسلطنة
زى الخيول.. ضاعت سنيني في السنين
القاهرة، والألف مدنه شمعدان
آدم عريس فى بولاق وحوا فى الحريم
القاهرة، والناس فى كهف الليل ديدان
آدم وحوا بيقروا توفيق الحكيم

غنالها بَشْرَفْ كرْد غنّت له عَجَم
رديت انا من فوق بجواب الجواب
وخرجت كالعنقود من كرْم العدم
قطرة حياه محلوبة من ضرع السحاب

آدم وحوا شقّطونى في الهوا
زى المخدة الريش ولعبوا في السرير
صَرَخْت ضُمّوا الصرخة بالحضنين سوا
ونعست نمت سعيد فى المهد الحرير
جدي رفع يدة بطرطوفة البنان
ضحكت شواربه وكَرْمِشت أركان عينيه
مولود ذكر ينشال على كفوف الحنان
محروس من الله والملايكة حواليه
* * *
يا هلْتَرى الطفل اللى نايم يبتسم
من خلف جدران فى العدد تلاتين سنه
هو الحزين.. هو البدين الملتحم
هو انا يا رب ؟
والاّ مش أنا ؟

إحنا الشعب

إحنا الشعب
إحنا الشعب
اخترناك من قلب الشعب
يا فاتح باب الحرية
يا ريس يا كبير القلب

يا حلاوة الشعب وهوه بيهتف بسم حبيبه
مبروك ع الشعب خلاص السعد حيبقى نصيبه
واحنا اخترناك
وح نمشى وراك
احنا الشعب
احنا حياتك وابتساماتك وانت حياتنا
احنا بنفرح وانت بتفرح من فرحتنا
كل ما نكبر قلبك يكبر بمحبتنا
واحنا اخترناك وح نمشى وراك
إحنا الشعب

ياللى بتسهر لجل ما تظهر شمس هنانا
احنا جنودك إيدنا فى إيدك مصر أمانه
بكره وطننا ح يصبح جنه وانت معانا
واحنا اخترناك وح نمشى وراك
إحنا الشعب
يا اللى واعدنا بايام عيدنا هل هلالك
بكره يا بكره مشتاق نظرة لسحر جمالك
بكره بطلنا بجهد عملنا يحيى أمالك
واحنا اخترناك
وح نمشى وراك
إحنا الشعب

الانتصار

فيه لسه ركن في قلبي عاوز يبتسم
أرض الجزائر لسه تحت الاحتلال
أنا قلت مش يمكن بلادي تنقسم
أرض الجزائر جزء من أرض القنال
وخرجت ثاير
رايح الجزاير
ونسيم بلادي معايا طاير بالبشاير
للانتصار
مشيت مشيت لون الجراح ما غابش عنّى
مشيت مشيت جوه الرياح اهتف واغنى
يا سهرانين الليل عليكم السلام
شدوا الزناد شدوا انتصارنا وقربوه
بكره الليالي تعود ويملاها الغرام
وكل طفل ينام سعيد فى حضن ابوه
يا دم يا أحمر
ع الزرع الاخضر
أهل الجزائر بدروك علشان تزهر
للانتصار

هناك هناك فوق الجبال آخر طريقي
هناك هناك وسط النضال واقف شقيقي
بنظره مليانه حنان ضم الوطن
ضم السنابل ضم أغصان الزتون
ورفع سلاحه وخط فى جبين الزمن
ميعاد لحرية بلاده راح يكون
وانا سبت أرضى
وفيها وردى
رايح الجزاير بالرصاص أأدى فرضي

للانتصار
راح ننتصر ونشوف سلام وأيام جديدة
راح ننتصر ونعيش كرام فى بلاد سعيده
وانا حامشي وامشي وامشي في سكنى
وانزع من المستعمرين حريتى
وانشد مع الثوار واحنا فى الصفوف
انا جاى ثاير
ويا الجزاير
ونسيم بلادي معايا طاير بالبشاير للانتصار

احكم يا شعب

احكم يا شعب
احكم يا شعب
وخد بنفسك مكانك
الأمر صعب
والنهى صعب
امسك بيدك ميزانك
احكم وقول
يا بلادي كوني سعيدة
عيشي في أيام مجيده
احكم يا شعب
ابن الغيطان
أبو الغيطان
كان حاني عوده على العيدان
رفع قوامه
وقال كلامه
سمعنا صوته فى البرلمان
وانا اقول واقول
فى مجلس الأمة قلبي
هو اللي عارف مطالبي
واحكم يا شعب

إيدين بتزرع وتصنع
وإيدين بتبنى وترفع
رفعت أسامي اسامي
يا نايب الشعب يومك
فى كلمتك كل قومك
اخطب ودافع وحامى

ورينا منك عجب
واحكم على شمس بكره
تجمع ولاد العرب
على كلمة واحده وفكره

عيوننا طاله عليك
وقلبنا نفسه يفرح
ورينا قوه ايديك
واحكم على الصخر بطرح
وانا اشوف واقول
فى مجلس الامه قلبى
هو اللى عارف مطالبى
واحكم يا شعب

اثنين

اتنين ولا قبلنا
ولا بعد منّااتنين
فين زى حبى أنا
وزى حبك فين
اتنين ولا قبلنا
ولابعد منا اتنين

اتنين روحين هيمانين
قلبين وشقايق
تفوت علينااالسنين
وكأنهادقايق
لايق علينالهنا
وكأنه توب عايق
ولا فى القصص والغنا
فيه زينا حبيبين
اتنين ولا قبلنا
ولا بعد منا اتنين

قالوا ما فيش الهوى
لكن احنا قلنا: فيه
يا ناس شوفونا سوا
راح تعرفوا معانيه
الحب ده سرنا
لكن ولا بحبيه
أهه أهه حبنا
لا تخاف حسدولاعين
اتنين ولا قبلنا
ولا بعد منا اتنين

الجنة هى بلادنا

الجنة هى بلادنا
وجهنم هى حدودنا
اللى يخطيها
راح يهلك فيها
ويدوق الموت على ايدنا
اليوم ده بعده مفيش
غير مجد وعز وحرية
لو متنا ولادنا تعيش
ونعيش فى الاجيال الجايه

الشعب الثائر اهو جالك
بيقطع لك كل حبالك تلاقيه فى يمينك وشمالك
وبفاسه بهد امالك
الشعب بيزحف زى النور
ركان غضبان بركان بيفور الشعب جبال الشعب بحور
زلزال بيشق لهم فى قبور
ح نحارب

ح نحارب

ح نحارب
كل الناس ح تحارب
مش خايفين
م الجابين
بالملايين ح نحارب
ح نحارب
حتى النصر
تحيا مصر
تحيا مصر

ح نعيش

ح نعيش ونشوف مصر سعيده
وكفاحنا يكون بكره قصيده
ونعيش ونشوف دنيا جديدة
توصف ايام ثورة مجيده

دافع عن شمس الحرية
وشعوب الامه العربية
عن شرف الرايه المصرية
انت وهى وحده قوية
عمرى كوم والحب ده كوم

عمرى كوم والحب ده كوم
وليلة امبارح ما جاليش نوم

عيون الحليوة

بان عليّا حبه
من أول مابان
ياما كان فى نفسى والله أعشق من زمان
كان الحب حَبّه
بان.. طرحت محبه
وعيون الحليوة ياعينى بحر من الحنان

من أول ما شفت عيونه
أنا قلت الليالى يهونوا
تحميه السما وتصونه
أنا شفت اللى مستنينى
وعرفت اللى ح يهنينى
من أول ما بان
وعيون الحليوه ياعينى بحر من الحنان

من خوفى عليه ما بانامشى
وافرش له طريقه برمشى
هنّانى وهواه ما رحمشى
.. ليه لما نده لبيته
ليه بين الضلوع خبيته
من أول ما بان
.. دى عيون الحليوه يا عينى بحر من الحنان

شباك الأمل وفتحته
والدنيا جناين تحته
يا دموعى خلاص ارتحتوا
.. من إمتى يا قلبى فرحنا
والدنيا بقت تشر حنا
... من اول ما بان!

وعيون الحليوه ياعينى بحر من الحنا
غابت شمس امبارح عنى
بس انت يا قمر طمنى
شباكى منور بيغنى
خدها الليل خباها منى
واوعى تخاف من أى غيامه
لاملامه عليا لا ملامه

فليحيا كفاح الشعب

فليحيا كفاح المصريين
موت يا استعمار بالرعب
الشعب بيزحف بالملايين

لجل السلام والامل والحياة
شيلنا السلاح ورعانا الاله
نناضل نناضل
نناضل بعزم وايمان
اقسم بوحده بلادى
وبثورتى وجهادى
ما يعود على الارض عادى
ما يسود غير الانسان

ليلة امبارح

ليلة امبارح ما جليش نوم
قبل ما ترميني فى بحورك
نا كنت لوحدى وف حالى
راحة البال راحت من بالى
والحيرة قلت لها تعالى
واحنا لسه فى أول يوم
مش كنت تعلمنى العوم؟
شفتك ما اعرفش اللى جرى لى
قلت لها مع ألف سلامة
لا ملامه عليا لا ملامه

والله زمان يا سلاحى

والله زمان يا سلاحى
اشتقت لك فى كفاحى
انطق وقول انا صاحى
يا حرب والله زمان

والله زمان ع الجنود
زاحفة بترعد رعود
حالفة تروح لم تعود
إلا بنصر الزمان

هموا وضموا الصفوف
شيلوا الحياه ع الكفوف
ياما العدو راح يشوف
منكم فى نار الميدان
يا مجد يا مجدنا
ياللى اتبنيت عندنا
بشاقنا وبكدنا
عمرك ما تبقى هوان

يا شباب اليوم ده كفاح
لتسلح وامشى وبانا
وان كان مامعا كش سلاح
قاتل بايديك العريانه

زفة

محلاك يا مصرى وانت ع الدفة
والنصرة عاملة في القنال زفة
يا ولاد بلدنا تعالوا ع الضفة
شاوروا لهم
غنوا لهم
وقولوا لهم
ريسنا قال.. مفيش محال
راح الدخيل وابن البلد كفي
حيوا الرجال السمر فوق السفينة
حيوا اللاى جاهدوا عشان ما يفرح وادينا
نظرت لنا الدنيا وشافت عملهم
مَدحِتْ بكل لسان على كل مينا

أنا قلبى فاكر لسه مين اللي جارحه
ولولا يوم النصر ما اتلم جرحه
ضفت القنال في إيدين رجال من بلادى
رفرف علىهم قلبى من كتر فرحُه

حبايبنا شرق وغرب جايين بلدنا
والورد والياسمين هدية ولادنا
ونسيمنا بالأحضان يقابل رايتهم
وقنالنا يحكيلهم حكاية جهادنا

باحب السلام

باحب السلام
باحبه كأنه وليدى
وباصحى وانام
وغصن الزيتون ملو إيدى
وقلبى مناه
ما يبقى على الأرض شر
باحب الحياة
باحب جميع البشر
باحب السلام وباحبك يا شابه
وباحلم كتير بحياتنا سوا
لكين فيه سحابة على الدنيا هابّه
ما نقدرش منها نشم الهوا
ولو قلنا بكره
ما نعرفش بكره ح يجرالنا ايه
وياما ح يجرى
ما دام فيه خطر واحنا ساكتين علىه

تعالوا يا كل الشعوب قربوا
تعالوا نقف صف واحد منيع
عشان الربيع..
عشان شابه حلوه بيعشقها شاب
عشان يبقى للطفل أب
عشان يبقى للأم طفل رضيع

يـا هــلا

سوريون : يا هلا يا هلا
مصريون: مرحب مرحب
الجميع: شربات الوحدة وبنشرب
سوريون: عربي زيى
شرّف خييى
مصريون: تعالالي يا خويا قوام قرب
فرد: نشوه في قلبى وورده في إيدى
وانا ماشى باغني يوم عيدى
حواليا الناس فيضان إحساس
والوحدة نشيدهم ونشيدى
في سورية ومصر اتقابلوا عرب
يا هلا يا هلا مرحب مرحب
الأمة اتقابلت بالأحضان
م اللادقية لما لأسوان
حوالين فكرة حوالين بكره حوالين ثورة حوالين إنسان
والمنصورة قالت لحلب
يا هلا يا هلا مرحب مرحب
قدّام قدّام خطوة لقدّام
عاوزين نفرح ونعيش في سلام
همِّى يا جماهير عاوزين تعمير
والوحدة طريق كل الأحلام
والوحدة نغمها حماس وطرب
يا هلا يا هلا مرحب مرحب

وحدتنا يا غاليه أفديكى
وآخد من عمرى واديكى
واحلف بالعيد غاريد

لاضرب على إيد من يعايدكى
واللي يسالك اسالمه وارحب
يا هلا يا هلا مرحب مرحب

أغنية إلي أسوان

اعمل لنا مفتاح يا صنايعى يا فلاح نفتح بيبان الخير
أسوان ملانه حديد انهض ومد الإيد ما تمدهاش للغير
أسوان بنت بنوت
المجد خاطبها
لها معاد مثبوت
توفي حبايبها
أسوان نشوانه
وقلبها بيدق
بزنود عرقانه
بين الصخور بتشق
النيل ما بين أسوان وبين حلوان
سافر وغنّى غنوة المصنع
آه يا سما يا مغيّمة دخان
مطرك عنيد منه الحديد زرع
ده مش حديد في النار
ده عزمنا الجبار
عدو لاستعمار
ده مش حديد مصهور
ده شعبنا المنصور
بيسابق التيار
بيطير كأنه شرار
يبعث سلام م القلب
وبا الحديد والصلب

أيامنا الحلوة

أيامنا الحولة جايه هناك قدّام عينيا
السد العالي طالع جايب معاه مصانع
جايب معاه مزارع
جايب لاشتراكيه

أيامنا الحلوه هلت
وجايه في الطريق
والحلم ظنونه ولت
وبقى بحق وحقيق
السد اهه.. بيعلى
والشغل في قلبه شعله
والشغل لما يحلي
يملا العيون بريق
فجرت فجر بكره
يوم ما نسقت الجبال
وجعلت اليوم ده ذكرى
لتأميم القنال
الثورة ثورة دايمه
في كل قلب قايمة
حوالين السد هايمه
تحمس الرجال

عاوزين غيطان جديدة
ونور في كل بيت
أحلام ماهيش بعيده
ولا محتاجه لياريت

ياللي تريد المعالي
جاهد واسهر ليالي
وابنى لك سد عالي
راح تبلغ ما اشتهيت

الليلادى

الليلادى
كل أحبابى زارونى
طيف خيال كحل عيونى
هام معاهم قلبى.. سافر ودعاهم
محلا طعم السهد لما سهرونى
قلبى سافر ودعاهم.. م البوادى
من على روس الجبال.. من كل وادى
في بلادى
اللي منها الشمس جايه
البلاد العربية
الليلادى
زارنى فارس م الجزاير
طيف على جبينه قريت كلمة بطل
السلاح في إيديه وفي عينيه الأمل
والشباب من قلبه فاير
قبل ما يرد السلام قال ح انتصر
انت منصور والسلام راح ينتشر
وح نبنى له مناير
والهناج يقول اما جاى في ميعادى
ليله تشبه الليلادى
في بلادك وبلادى
اللي منها الشمس جايه
البلاد العربية
الليلادى
زارنى من شعب العراق
طيف جميل.. علمنى إيه هو الفدا
بنت زى الوردة والدم الندى
بنت عم الشهداء
ماشيه في الموكب بتهتف للحقيقة

جرحها وسامها.. وفي دموعها البرئية
كل دم الاثرياء
زارنى طيفها وابتسم لي بضحكة مرّه
قلت بكره يكون لقانا في أرض حره
بعد أهوال الفراق
والهنا ح يقول انا جاى في ميعادى
ليله تشبه لليلادى
في بلادك وبلادى
اللي منها الشمس جايه
البلاد العربية
الليلادى
من فلسطين جت لي نسمة
فيها من ريحة زهور البرتقان
فيها طيف إنسان واحشنى من زمان
جه وزارنى وقال لي كله
زى أجراس الكنيسة والأدان
احنا راجعين أرضنا.. آن الأوان
والشقا ح يدوب في بسمة
والهنا ح يقول جاى ف معادى
ليله تشبه لليلادى
في بلادك وبلادى
اللي منها الشمس جايه
البلاد العربية
الليلادى
ياما سهرنى انشغالي
على أحبابى في لبنان والجزيرة
في السودان وف كل أوطاننا الكبيرة
كلهم كانوا في بالي
قلبى قسمته علىهم كلهم
علشان ينشدلهم ويقول لهم
بكره تصفالنا الليلي

والليلادي
كل أحبابي زاروني
طيف خيال كحّل عيوني
هام معاهم قلبى.. سافر ودعاهم
محلا طعم السهد لما سهر وني

راية العرب

عجبي على راية العرب فيالريح
فيالأرض ثابته وفي السما تفاريح
والنجمتين الخضر بيبصوا لنا
وبيقولوا لنا بكل عربي فصيح
الوحدة الوحدة الوحدة
مجد العرب في الوحدة
الوحدة راية ونجمتيها صبايا
علشان عيونهم يا ما راحوا ضحايا
شجعان زمان نبتت وصبحت راية
وكم شهيد وسط الميدان وجريح
هتف وقال بكل عربي فصيح
الوحدة الوحدة الوحدة
مجد العرب في الوحدة

يا نجمتين خضر يا عيون بلدى
باحبكم حبي لبنتي وولدي
حبي لابويا وامي يا نجوم رايتي
باحبكم حبى لعزي ومجدي
وزى ما العربي كلامه صريح
أنا اقول واقول بكل عربي فصيح
الوحدة الوحدة الوحدة
مجد العرب في الوحدة

زي الربيع ما لا بد يوفي بوعده
لا بد يدوم كل العرب يتحدوا
ونجمة خضرا بعد نجمة حاييجوا
يتقابلوا في الراية مكان ما اتواعدوا
ويرفرفوا في العيد على المراجيح

وهناك يقولوا بكل عربي فصيح
الوحدة الوحدة الوحدة
مجد العرب في الوحدة

عجبي على راية العرب
عجبي!

اللي جرى لجميلة

شفايفها لمّا تضحك
زى شفايف ثريا
وعيونها بالحواجب
تمام شبه سنية
وشعرها المموج
مفروق من الشمال
على الموضة البناتى
زى عروسة كمال
وسمرا زى خضرة
ورقيقه زى سوسن
والورد فوق خدودها
صلاة النبى أحسن
والصورة بين إيدينا
مع كل حى حبه
ياخدها يطل فيها
حرام يا عينى.. شابه
واللي ما دريش يقولك
مالها؟ جرى لها إيه
ده اللي جرى لجميلة
ما ينسكت علىه

وجميلة من الجزاير
بلد البحر الكبير
بلد ولاد عمامنا
فرسان الأساطير
اللي زارعين رايتهم
ع القمّة مرفرفة
اللي سايبين بيوتهم
والفرش والدفا

علشان عاوزين يعيشوا
حياة مشرفه
جميلة واحده منهم
واحده من شعب ثاير
بتكره المظالم
وبتحب الجزاير
وبتحب الأغانى
وبتحب العماير
وبتحب الجناين
والورد والعيال
واللي جرى لجميه
شىء من ورا الخيال

ألم مخيف في قلبى
وبقاله خمس شهور
من ساعة ما اصطادوها
كأنها عصفور
تجرى والدم نازف
وتقول يا جرح نازف
اصبر ده الوقت آزف
والناس مستنظره
أوامر القيادة
أحبك يا جزاير
أكتر من العبادة
أجرى كمان شويه
خطوه كمان زيادة
وف كتفها الرصاصة
وعضام اتحطمت
تنزف تنزف وتجرى
لحد ما اترمت
وكلاب الصيد جابوها

ومهما يعذبوها
ومهما يصلبوها
ومهما يضربوها
ومهما اتألمت
أبدا ما سلمت
ومهما يغصبوها
أبدا ما اتكملت
يا حسره ع الشباب
بين أنياب الكلاب
كتبوا العذاب علىها
بدال كتْب الكتاب
والدنيا تروح وتيجى
جوه عيون البينة
اللي ف صورتها بانت
شبه عيون سنية
وتِبْهَتْ الشفايف
الضحّاكه الشهية
اللي في صورتها ثريا
زى شفايف ثريا
وشعرها المموج
اللي في صورتها سال
من فرق ع الشمال
زى عروسة كمال
معجون بدمها
حبة عين امها

حبه عين النضال
واللي جرى لجميلة
ما تحمله الجبال

وتر من الكمنجه
وتر واحد وحيد
نوح عشان جميلة
في أول النشيد
والأوتار اللي باقيه
صرخت من غير دموع
وامتدت م الكمنجه
لحناجر الجموع
على باب المحكمة
والعالم كله واقف
على باب المحكمة
بيغني غنوه واحدة
راعده ومدمدمه
تزلزل السماء

وقضاة المحكمة
العصبة المجرمة
بقلوب مطلسمة
وعلى عينهم غما
وفي إيديهم دما
بيسمعوا الأغانى
وهمّا في وادى تانى
وايش تعمل المعانى
في عقول مضلمة
طول الليل السجانه
بيسنوا المقصلة
وجميلة في الزنزانة
سامعه ومستحملة

طول الليل المعارك
دايره في حضن الجبل

وجميلة في المهالك
عايشه على الأمل

أمل أمل أمل
اتقدم يا بطل
تبِّت في البندقية
خلي النار تشتغل
ده اللي جرى لجميلة
مالوش غير العمل
*

الوحـدة

إحنا الوحدة وأمتها
إحنا زراع كرامتها
إحنال كتّاب كلمتها
إحنا الأمه العربية
كلنا روح واحدة ما بتفرق شماليه من جنوبيه
وحده أمَّال إيه يا حبيبى
وحده شولكان يابيّا
يا مرفرف على شمالي
ياقلبى قل لي مالي
نسمة هوا الشمالي
هزّتنى هزه قويه
تسلم يا حب الأوطان
يا مجمع شمل الخلان
من طنطا وحمص وأسوان
والسلوم واللاذقيه
كلنا روح واحده ما بتفرق شماليه من جنوبيه
وحده أمّال إيه يا حبيبى
وحده شولكان يابيّا
يا ليل يا عينى أوف يابا وأوف ياخى
عرب الشمال والجنوب اتجمعم في حى
دقه قلوبهم غنا ونظرة عيونهم ضى
واليد في اليد زى السد في القوة
متوحدين بالأخوة وياما غيرهم جى

وحده واحنا صناعها
وراية واحده بنرفعها
وقلعه بتحميها سباعها
وتحمى العزه القومية
وحده وأفراح وأغانى

يهنالك يا أوطانى
جيشنا الأول والثانى
بحدود الجمهورية
كلنا روح واحده ما بتفرق شماليه من جنوبيه
وحده أمّال إيه حبيبى
وحده شولكان يابيّا

الأرض

الأرض قالت آه الفاس بيجرحنى
رديت وانا محنى آه منك انتى آه

الأرض قالت حِن
طيرتنى فتافيت
رديت وقلبى يئن
وانامين يجيب لي مغيت
منك ومن عشقك
يا اللي عشان رزقك
عمرى في يوم ما باوِن

عينى عليكى سنين
محنى عليكى أب
عبيت في بطنى طين
ولغيرى عبيت حب
أنا حالي من حالك
عَتَبِك على المالك
يا أرض يا فدادين

خليك جمل يا جدع خليك ياخلي
متباع ومشرى وبحق رغيف باتملي
الأرض أبعد عليك والاّ السما قل لي
قالوا السما للملايكة واحنا لينا الأرض
يا ريتها تصبح لنا والهم ده يولي

واسينى واسينى
يا أرض يا عروستى
عمرك ما تنسينى
ولا حضنى ولا بوستى

دانا يوم ما انول يدك
واختم على عقدك
الريح يرسينى

كلام في السياسة

ماليش كتير في السياسة
لكن بافكر
ومماليش كتير في الكلام
لكن باعبر
من قلب مليان حماسه
وباقول كلام في السياسه
باحلم تملي بالسعادة والأمان
باحلم أعيش من غير ما خاف غدر الزمان
وِان جيت ونلت المنى
يصعب علنا الهنا
من غير ما يتهنّوا جميع الناس كمان
ما اسعدش غير ف وطن سعيد من حواليا
سموا الشعور ده حب والاّ اشتراكيه
ماليش كتير في السياسة

أوقات احس كأنى على مفرق طريق
أحتار ويصبح قلبى فيالأفكار غريق
ولما اشور الجيران
واشاور الخلان
رأي الصواب يظهر جرىء وله بريق
واحس رأى حبايبى بينور عينيا
سمّوا الشعور ده حب والاّ ديمقراطية
ماليش كثير في السياسة
بينى وبين أيامى حرب ما تنتهيش
وزى كل الناس باموت علشان اعيش
أتمنى اروح عندهم
جهدى على جهدهم
يصبح وجودنا قوه بعد ما كان مفيش
وانا إيش اكون وحدى لولاش بلدى علنا

سموا الشعور ده حب والا تعاونيه
ماليش كتير في السياسة

أنا قلبى مليان حماسه
لكل شىء حر صادق
ماليش كتير في السياسة
لكن باحب المبادئ
وباحب صاحب المبادئ
والاشتراكية
الديمقراطية
التعاونية

الله معاك

يا صابر الصبر الجميل الله معك
ما أروعك ياشعبنا وما أشجعك
جرحك فلسطن يوْجَعك تزداد وجود
وتحول الأحزان بارود في مصنعك
الله معك.. الله معك.. الله معك..

دلوقت في البساتين أوان عطر الزهور
لهفي علىه وهناك مفيش من يعشقه
إحنا ورا الأشواك وسبعين ألف سور
والعطر ما يرضى بسوانا ينشقه
تطلع زهور البرتقان
تشبه عيون فتيان عرب
تبص للأرض بحنان
وتبص للجانى بغضب
يغضب نسيم البحر والأمواج تثور
يا شعب يا منصور تعالي بمدفعك
الله معاك.. الله معاك.. الله معاك

يا أرضنا المسجونة سجنك راح يزول
شعبك على الأبواب مسلّح بالأمل
كلمة فلسطين زى دقات الطبول
بتدّوّى وتحمس وتدفع للعمل
راجعين بقوة السلاح
راجعين في بحر من الدما
راجعين كما رجع الصباح
من بعد ليله معتمه
راجعين سيول.. من الصحارى للسهول
زى الرسول يا شعب نازل بنفعك
الله معك.. الله معك.. الله معك..

يافا.. وشباك انفتح يوم الرجوع
طلوا من الشباك جميع أهل الوطن
إحنا هنا ياشمس ياطير يا ربوع
عدنا وخدنا الثار من عار الزمن
ده حلم.. لكن له معاد
شعب العروبة يحققه
وعدوّنا لو زاد وعاد
قوة سلاحنا تسحقه
الفجر طالع مين يحوشه من الطلوع؟
وياشعب يا ممنوع يا ويل من يمنعك
الله معك.. الله معك.. الله معك..

المَكَن

"صورة غنائية"

أصوات مجاميع:

(١) : إحنا كفر المقاتلة

عاوزين بوابير حراته

(٢): إحنا منية مليج

عاوزين بوابير حليج

(٣): إحنا شبرا العلاوى

عاوزين مصنع كيماوى

(٤): إحنال محلة شديد

عاوزين مصنع حديد

" الجميع ": إحنا أهل الوطن

إحنا الريف والمدن

كلنا عاوزين مصانع

كلنا عاوزين مكن

مكن.. مكن.. مكن..

معلوم. لازم مكن

...

" في البحر ":

" الصياد: يا حميدو طل وشوف

جايه في البحر صفوف

"حميدو ": أيووه يا باع البواخر

على مدد الشوف ألوف

...

عمال التركيب: خلع مسامير خلع خلع

إفتح صناديق ياالله وطلع

وضّب رتّب نصف ركب

إفتح مصنع وكمان مصنع
وكمان وكمان وكمان وكمان
وكمان وكمان وكمان مصنع!

وكمان وكمان وكمان وكمان
وكمان وكمان وكمان مصنع!
خلع!
...

عامل: مليون براوه يا ناس على دى تروس
دى سواقى دايره شايلة بحر فلوس
تسقيفه للمكن اللي جاى لنا
من بره يدى في الشطاره دروس

تسقفيه للمكن اللي جاى لنا
يزاملنا يا ولاد جيلنا ف نضالنا
قابلوا المكن بالحضن والزغاريط
عقبال ماتعمل زيه عمالنا...

دار المكن وبقاله صوت جبار
سال العرق جنب المكن أنهار
مداخلنا كتبت عنا فوق الريح
ما بقاش هنا استغلال ولا استعمار
أحصد غيطان الصلب يا عثمان
الشعب مصتنظر كنوز أسوان
بكره مسكن بره يجيب مواليد
ومكن جديد عربي يوماتى يبان

...

" رجال ": عايزين نصنع مكننا
بإيدين عمال وطننا
" نساء ": عايزين نصنع مكننا
بإيدين عمال وطننا
" أطفال ": عايزين نصنع مكننا
بإيدين عمال وطننا
" شباب ": عندنا أسوان
يا لله يا جدعان
ده زماننا وده أواننا

...ِّ

عامل: أنا كنت عمرى لم رأيت أسوان
يا فرحتى رأيتها بعنيا...
أسوان على مجد العرب عنوان
منجم عزيمه حديد وحرِّيه

وانا كنت عمرى لم رأيت منجم
يا فرحتى وانا وسط عماله
رعد المطارق في الجبل دمدم
بنغم مفيش أنغام في جماله
غنى العمل
رقص الأمل
وبقيت سعيد نشوان
وانا كنت عمرى لم رأيت أسوان
وانا كنت عمرى لم رأيت مطرقة
يا فرحتى والمطرقة في إيدى
حسيت في دمى بشمسنا المشرقة
وبالحديد مصهور في وريدى
دمى اشتعل
قلبى اشتغل

وبقيت سعيد نشوان
وانا كنت عمرى لم رأيت أسوان

...

" رجال ": يا صلب يا مصهور
سحرك عجيب مشهور
" نساء ": يا صلب يا سايح
صيتك بعيد رايح
" الجميع ": اعمل لنا مسمار
واعمل لنا أَجَنَه
اعمل لنا مزمار
واعمل لنا مكنه
اعمل لنا يا صلب
صاروخ يجيب الشمس
تسطع في ايد الشعب
والغد يصبح أمس
يا صلب يا مصهور

...

أصوات حالمه: واتقدم يا زمن
واتقدم يا وطن
واصنع انت المصانع
واصنع انت المكن

...

(١): احنا كفر المقاتة عندنا بوابير حراته
(٢): احنا منيه مليج عندنا بوابير حليج
(٣): احنا شبرا العلاوى عندنا مصنع كيماوى

(٤): احنا محلة شديد عندنا مصنع حديد

...

واتقدم يا زمن
واتقدم يا زمن
واتقدم يا زمن
واتقدم يا زمن
واتقدم يا زمن
" ختام "

توسيع القنال

نداء: انت مين؟

رد: ابن ابنه يعنى حفيده

نداء: هو مين؟

رد: اللي حفرها بإيده

نداء: وجمال..؟

الجميع : أممها. أممها.. أممها

* * *

مجموعة: وسّع يا جدع وسّع

للشبان المجدع

وسّع يا جدع وسّع

ده قالنا بيتوسّع

الريس قال يالّه

كل الشعب اتطوع

" تتابع ": قوم .. شيل.. هات.. خد.. ارفع

علمك.. خَدَمك.. ادفع

دينك.. فينك.. اطلع

مجدك.. بلدك.. انفع

وسّع يا جدع وسّع

للشبان المجدع

...

المفرد

ياما ياما ياما

المجموع

ياما

مين عنده شهامة؟

ياما

مين عنده كرامة؟

ياما

كام نفر اتطوع؟

ياما

كام قلب مولع؟

ياما

كام إيد بتوسع؟

ياما

فيه كام عين شايفة؟

ياما

من حمص لحلفا

ياما

ياما ياما ياما

ياما

ياما بكره ح نفرح

ياما

والشجرة ح تطرح

ياما

والأَمَلة ح تصبح

ياما

والخير ح يجيبنا

ياما

على كل سفينة

ياما

ياما ياما ياما

ياما

بنحب دراعنا

ياما

اللي بينفعنا

ياما

ونقول وسَّعنا

ياما

غلايين ح تعدى

ياما

وتجيب وتودى

ياما

ياما ياما ياما

ياما

.....

تركي بجم

تركى بجم.. سِكِر انسجم
لاظ شقلباظ
اتغاظ هجم
آمان آمان .. تركى بجم
دبور جبان من غير زبان
زنان كبير.. يمضغ لبان
يسمع نفير يخاف يبان
آمان آمان .. تركى بَجَم؟
سوسن بازافان. اقطع لسان
عربي واقف لك ديدبان
ادخل تموت جنات مكان
آمان آمان.. تركى نجم
سيكتير زمان.. سيكتير كمان
ادخل ح نضرب في الملان
خليك تقول انا جلفدان
ولا ينفعوك الأمريكان

البيانولا

أنا دبت وجزمتى نعلها داب
من كتر التدوير ع الأحباب
يا سلملم لو اعتر في حبيب
ده انا ارقص من كتر الإعجاب
كدهه! كدهه! كدهه!

أنا قلبى مزيكة بمفاتيح
من لمسة يغنى لك تفاريح
مع إني مافطرتش وجعان
ومعذب ومتيَّم وجريح
باتنطط واتعفرت واترقَّص كدهه
كدهه! كدهه! كدهه!

بيانولا والاَّ بنصة وحركات
اطلعى بقى يا نصاص يا فرنكات
أنا عازمك يا حبيبى لما الاقيك
على فسحة في جميع الطرقات
نتننطط نتعفرت نترقَّص كدهه
كدهه! كدهه! كدهه!

" أنا الشعب مارجرجس مع الخضر في جسد "
" وبالرمح ضارب فيك يا شَيْطان "

على الربابة

ما غنيتش ياخِلّي بقالي زمان
وجايب ربابتى.. إنما خجلان
ولا بد قبل ما اقول اصلي على النبى
بذكر النبى يتطَّمن اللهفان
نبى عربي ما كان شاعر ولا نظم
ولكن قلبه كان ملان بحنان
ولكن قلبه كان ملان حب للبشر
وكان يكره العدوان والطغيان
كان سيف وكان وردة و كان روح وكان جسد
وكان نار وكان جنة وكان إنسان
أصلي على نوره اللي بيشعّ بالأمل
رسول العمل طه النبى العدنان

...

يقول الفتى الشاعر على قد قدرته
وجوَّات صدره الحماس غَلَيان
ما عدناش نطيق الظلم في الأرض يا عرب
وامتى العرب طاقوا يشوفوا هوان؟
هنا موطن الأحرار هنا قلعة الغضب
هنا كل شبر بينفجر بركان
هنا عاش صلاح الدين هنا مرّ موكبه
وفيه كل غارق في الزَّرَّد عرقان
وفيه كل طهمان الزمان وشه مبتسم
فوارس حوارس ع الديار شجعان
كأنى شايفهم والعوالي في يدِّهم
وسامع أبو أيوب وهو غضبان
هبط لص له حاس لا تعنَّب الحي
هنا أرض ما تتداس بِنَدل جبان

حسامك يا جنس الكلب، ورِّينى قوتك
أنا قوتي في الحق والإيمان
أنا قوتي في الشعب، والشعب يسحقك
ويجعل هزيمتك عار مدى الأزمان
ولو كنت ما ترجع دى مدينتك
ولو كنت ما تخشع تكون ندمان
معارك ودارت معركة تبزّ معركة
صليل السيوف فيها ما زال رنان
وما زال رنان النشيد اللي أنشده
جدع م العرب مطعون على الكثبان
" بلادى يا أمي يا حبيبتي يا طفلتي
أحبك واموت لجلك وانا فرحان
كفاية اشوف النصر بسَّام في طلعتك
ولو كنت في بحر العدم غرقان
خديني على صدرك وغني لي غنوتك
أنام ابتسم يا حلوة في الأكفان"
وكان نصر له جناحات يطير بيها للعلا
وكان نسر له فتوحات في البلدان
وأيام تجيب أعوام وأعوام تجيب حقب
وراس العرب مرفوعة ما تنهان
تولوّا علينا الترك ضاعوا في وسطنا
كما ضاعت القطرة في بحر ملان
لنا الفن والصنعة لنا العلم والأدب
وما كان لهم إلا سلاح عدمان
يشيلوا السلاح رايحين وجايين بفشخرة
يهلّ الخطر يجروا كما الجديان
يجابه بدالهم كل صنديد بصدرنا
وياما جابهنا بصدرنا العريان
معارك حواري القاهرة عايشة في الكتب
تأيِّد كلامي وتضرب البرهان
وفرنسيس غاروا ترك طاروا وبرطعوا

وما فضلش إلا شعبنا سهران
أنا قدها وقدود قال ابن حيِّنا
أنا قدها وقدود يا جدعان
وشال أى حاجة في إيده انصب في الخطر
أبوزيد زمانه بس ناقصة حصان
وحارب معاه حتى العواجيز والنساء
حواسر كواسر يفلقوا الصوان
كده شعبنا في الشدة ما يكونش غير كده
كده الناس ضرورى يوم أصولها تبان
وثورة عرابي وطعنة الترك ضهرها
بتوزن أصول الغدّ ارين بميزان
وثورة هنانو ودعوته لوحدة العرب
وثورة تستعتاشر لهم تبيان
عرب مسلمين ونصارى بيلفهم علم
كما التفت الهلالات بالصلبان
عرب مسلمين ونصارى ناويين على الردى
شجاعة قلوبهم من رضا الرحمن
عرب مسلمين ونصارى وحدة ما تنقسم
ولو تنقسم شمس النهار نصفان
يقولوا بصوت واحد كما الرعد لو رَعَد
وللبرق في عيونهم ضيا ولمعان
كفي من أمور " فرِّق تَسُدْ " يا عدونا
كفي دس يا حر بايةيا لَوّان
أنا الشعب نصرانى ومسلم وبالعنك
ورا كل دعوة من جرس وأدان
أناالشعب مارجرجس مع الخضر فيجسد
وبالرمح ضارب فيك يا شيْطان
صحايف من التاريخ بتشهد ببأسنا
كما يشهد الإبداع على الفنان
نشوفها ونتمتع ويرجع لنفسنا
كما يرجع الفنان إلي الألوان

نشوف لون لحاضرنا قصاد لون لأمسنا
يبان القديم جنب الجديد بهتان
ولا كل من قال كنت ويقدر يقول أنا
ولا كل من شاف يوم يشوفه كمان
مش احنا اللي نتفاخر بماضي مضى وفنا
مش احنا اللي نتباهي بكان ياما كان
لنا ملحمتنا وملحمتنا لها العجب
لنا معركتنا ومعركتنا الآن

* * *

يقول الفتى الشاعر وقلبه نيران
وهايب ربابته وهايب الأوزان
في يوم في الشتا في اسكندرية اتولد ولد
صبى ما في زيه في البلد صبيان
عينيه واسعة زي الصقر لكن مفكرة
وله قامة عالية تزينه في الولدان
في اول ما خطّى رِجل راح دوغرى للهدف
كما ينحدف نحو الظلال حران
جمال ابن عبد الناصر الاسم والنسب
لعربان بنى مُر العظام الشان
كرام في سجاياهم وأحرار فيطبعهم
ومن نبعهم نشأ الفتى شربان
وشربان من طل الشطوط زى وردها
نبت وازدهي يعشق هوى الأوطان
في اول كفاح الفجر لاح لكن انطفي
ومركبنا تايهة لم لها ربان
ما بين الوجوه كان وجهه مشرق كما العَلَم
ويا ما وجوه لبست لتام أحزان

وكان يبقى واقف في الزحام شايل الكتب
وكان يبقى ماشى في الطريق سرحان
ويحلم ويحلم بالحياة لما تزذهر
وللسيد الدرويش يقول ألحان
بلادى بلادى خد نا صرى ده دين عليك
وتطلع يا محلا نورها شمس أمان
ويوم يلقى نفسه ف وسط ميدان المعركة
ويوم يلقى نفسه في العلوم دهشان
ويوم يلقى نفسه بيجمع الصف في الخفا
ويوم يلقى نفسه بيدِّي في المليان
ساعتها ما كانش في حلم لكن في يقظته
ومن قبلها بليالي كان يقظان
ليالي في عام اتنين وخمسين سهر لها
كما سهر الخباز للأفران
خبز قرص شمس طليق خبزترس للعمل
خَبَز خُبْز للأرواح وللأبدان
وتنهض جموع الشعب ثورة مولعة
ومتطلعة لقدام في اطمئنان
لقدام لقدام ياجمال اسمع الندا
تنادي عليك الأهل والخِلان
لقدام لقدام يا بطل هب وانطلق
تنادى عليك الريح في الوديان
لقدام لقدام يا جدع ربنا معك
تنادي عليك عصفورة م الأغصان
تنادي عليك كل العرب يا فتى العرب
تقدّم تقدّم واهزم الطغيان
ويتدحدر الطغيان وفي البحر يختفي
وفي البحر يغطس آخر التيجان
ما نسمعش صوت الغطسة من ضجة الفرح
ويمضى بلا رجعه كأنه ما كان
ويمضى الزمان نشوان والكل مبتسم

يغنى أيا حريه وقتك حان
صبرنا على المستعمرين رغم أنفنا
عشان كان لهم بيننا عميل خوان
ولا بد بد ما يترد في التوّ حقنا
ولابد ما تتحرر الأوطان
ونظرة جمال كالنمر نظرة ما تتنسي
في ساعة المفاوضة والعدو طمعان
كمثل البطل ما يهدد اللص في القصص
ويرفع إيديه اللص فيخزلان
جمال سدد الثورة طبنجة معمرة
وهو النشانجي اللي ما خاب له نشان
لصدر العدو سددها ثورة مزمجرة
وقال له بصوت زلزل له كل كيان
إلي الخلف در يا جيش بريطانيا وانصرف
إلي الخلف دارت عسكر البريطان
صلاة النبي أحسن كده الشغل يا جدع
صلاة النبى، قال لك ولسة كمان
ما تقطعش ديل الأفعى قالوا اللي قبلنا
وتطلقها لا تكون البعيد غفلان
وأفعى الدخيل راسها اللي ما زال في البلد
بيبلغ في قوت الراجل الغلبان
إذا كنت شهم اقطع دبيرها وأصلها
على رأي ما الشاعر كتب في ديوان
قنالنا في إيد غيرنا وما لنا ماهوش لنا
وقدّامنا لسة معركة عمران
ولا ينفع استقلال بلا مال يثبته
ولا تثبت الأحجار بلا موّان
وكانت إرادتنا ونفذنا أمرنا
ولا همِّنا ساخط ولا زعلان
وشالت براسها الأفعى دسناها بالجزم
ولا خفنا من أفعى ولا تعبان

وكيف يعترينا الخوف أو يستخفنا
وفي صفنا كل العرب أعوان
تزغرط تزغرط بورسعيد فجر نصرها
محنية رجليها بدما العدوان
محنية كفيها بدماها.. وشعرها
مع النسمة طاير كالعلم نشوان
ألا يا جزاير قربي شوفي نصرتي
كده راح تكون النصرة في وهران
ألا يا فلسطين انظري واعرفي الدوا
وكيف الحياة تترد في الشريان
ألا يا خليج شوف اعرف ازاي انا كده
وعقبالكم زيي يا قطر وعمان
ألا يا ضحايا الظلم في الأرض كلها
أنا بور سعيد الرمز والعنوان
وردت علىها دمشق ودمشق اختها
أنا حرة مثلك ما إيلي سجان
طردنا العدو وزال العدو وما بقى عدو
فقط خارج الباب الدياب قطعان
وقطعان دياب على لا باب عرب مصر كشرت
عن الناب ولو كان قلبها خشيان
تصدت لها مصر والشام وجت لها
صفوف شكلها يخلع قلوب الجان
ما يخلعش قلب الشر غير منظر القوي
ولا قوة إلاّ بلمة الإخوان
وما كان مقعّدنا سوى القيد في رجلنا
وما كان مبعّدنا سوى القبضان
هدمنا حديد السجن وحدود محددة
ومتمددة جرح وملان بديدان
نهضنا شمال وجنوب كأيوب من المرض
نردد صلاة الشكر والعرفان
وجريت دماء الصحة والعافية في البدن

ما بين حمص والحسكة وبين أسوان
ويخرج جمال في الشرفة ويطل للعرب
وتتوحد الأوطان والشمل يجتمع
وللشعب صيحة تشق كل عنان
وللشعب صيحة تشق للحق سِكّته
وما الحق إلا وحدة الأوطان

* * *

باغني وقلبي يدق ع السندان

باغني وروحى فوق مع الدخان
أغني لابو تمام واقول ألف معذرة
خدتنى الحماسة وباطلب الغفران
عرفناك تقول الشعر للسيف وللكتب
في أيام ما كان الشعر له سلطان
وكنتم تقولوا البيت من دول وتسكتوا
يدوِّي ويتردد في كل مكان
وكانت حياتكم شعر في شعر كلها
وحتى المعارك كان لها أوزان
عشان يتقتل إنسان يقاتل ويتقتل
ودلوقتى يفنى وهو مش دريان
قنابل بتفني ألوف ألوف يا أخا العرب
يا ريتك رايت ما حل باليابان
يا ريتك رأيت أفريقيا والموت وكيف حصد
عناتر كمثل السنديان والزان
وده اللي لهانى يا حبيب عن تحيتك
بشاعة الحياة في عصرنا الحيران
بلابل بتنهشها الحدادي في عشها
وبستان ما فيهمشي غير نعيب غربان
ولَجْل الجمال ما تعود إلي الأرض دولته
لابد الوحوش تفنى من الوجدان
وانا شعرى بيصور كفاح أمه العرب
عشان الجمال والحب والإنسان
با غني وقلبي يدق ويدق في نغم
كدق القدم في الدبكة والهيجان
وما كنت قادرع الغنا قبل ثورتي
وما كانلي شَبّابة ولا لي لسان
ما كانليش سوى إحساس مرهف ومختفي
كخنجر خفي بين التياب متعان

شهرته لقيته فاس ونبراس ومطرقة
ومنشار تجارة ومسطرين بنياز
ودوّرت على ألفاظ كما السير للمكن
تدور تروس وتقول دروس ببيان
لقيت عمنا ابن عروس وشعر ودارجته
وفي لهجته ألحان لكل زمان
جعلته دليلي ولهجة الشعب سِكّتى
أغني كما الفلاح في الغيطان
وحسيت كلام الشعب كالليل أبو قمر
وانا في القمر بانشد مع الكروان
يارب الفلك الملك لك لك، وباسألك
تعلمنى من علم الحكيم لقمان
وآخر الكلام ارجع واصلي على النبى
نبى عربي كان قلبه كله حنان

بكائية

"إلى بيرم"

جايه عروس الشعر م البغالة
بملاية لف وكف محني
شافت صوان وحبال وناس شغاله
وانا بابكي جنب الباب ومستني
والشمس تقطر حزن ع الصبحية
مين اللي مات يا شب يا بو دموع؟
قالت عروس الشعر للموجوع
مين اللي مات يا شب، قل لي يا خويا؟
قالت عروس الشعر .. لا يكون ابويا
أنا قلت ابونا كلنا يا صبية
مات زى ما كتف الجبل يتهد
مات باقتدار وفخار ما قالش لحد
بيرم.. ومات ماشي في طريق الغد
وجنازته ما شية اهه في شارع السد
والنعش عايم في الدموع في عينيا
فايت في قلب القاهرة ومعدي
هو عارفها وهي مش عارفاه
على كل حارة وكل عطفة يهدي
كأنه راجع لسة من منفاه
بيبوس بعينه اللبدة والجلبية
ده القبر ده.. والا كمان منفي
طالع علىه الشوك والحلفا
ده القبر ده.. والا كمان تبعيده
حدفوه علىها كلمتين في قصيدة
بيرم.. فتحت ديوانه رد عليا.

صلاح جاهين

الشاعر والإنسان

" دراسة نقدية "

بقلم

رجاء النقاش

الرجل العادي المجهول هو الذي أنقذ الوجدان العربي في كثير من الأزمات التي مرت به ، ففي معظم مراحل التاريخ العربي القديم، كان الأدب الفصيح والشعر على وجه الخصوص يعيش حياة مترفة.. فهو لا يعبر عن الأكواخ والبيوت المتواضعة، ولا يجد " مادة شعرية " في الثياب التي لوثها طول التعب والجهاد، وفي الوجوه المضناه التي جربت الألام الكبيرة في صبر ودون أن يكون أمامها طريق للخلاص.

على العكس، كان الشعر الفصيح يعيش ويزدهر حول القصور، وفي مجالس الملوك والأمراء، فقد كتب أمير الشعر العربي القديم أبو الطيب المتنبي أروع شعره في تسع سنوات قضاها شاعراً لأمير حلب سيف الدولة، وعندما قامت بينمها الخصومة بدأ الشاعر يضطرب، ولم يستطع أن يقف على قدميه بعد ذلك، لا كإنسان ولا كفنان، وانتهى به الأمر بعد سنوات من القلق والضياع إلي أن يموت مقتولاً في مغامرة صغيرة، وانتهت حياته الفنية الخصبة لأن الأمير الذي كان يحميه ويرعاه ويفهمه قد تخلي عنه، ولأن قصور هذا الأمير قد أغلقت أبوابها في وجهه.

لقد كان الترف هو الجو الأساسي للشعر العربي القديم. ولم يكن ذلك نعمة على الشعر بل كان أزمة ونقمة.

وخلال مئات السنين وقعت أجزاء الوطن العربي المختلفة تحت سيطرة الحكم الأجنبي الذي كان يعيش في عالم مختلف عن عالم الشعب.. وقد لاحظ النقاد أن مصر – على سبيل المثال – لم تنجب شاعراً كبيراً من أبنائها منذ أيام الشاعر الفرعوني القديم بنتاؤور، وكان ذلك سبباً لأن يثير أمام النقاد سؤالاً هو: هل الإنسان في مصر " عديم الشاعرية ".. أو مصاب بنقص أساسي في مواهبه الفنية؟

وأحسن إجابه توصل إليها النقاد على هذا السؤال الهام هي: أن الحكم المنعزل عن الشعب، كان يحتاج إلي فن منعزل عن الشعب أيضاً.. أما الشعب نفسه فكان له فنه الخاص، هو الشعر الشعبي الذي كان يعتمد على ثلاثة عناصر أساسية: اللهجة المحلية، والغناء، والعمل.

فطيلة تلك الفترات الواسعة من التاريخ التي لم يظهر فيها شاعر كبير من أبناء مصر يكتب باللغة الفصيحة. كان الشاعر موجوداً يعبر عن تجارب الحياة بلهجته الخاصة ويصور مشاعر وموضوعات مختلفة عن تلك التي يعبر عنها الشعر الفصيح.

ولذلك فلا يوجد مبرر علمي يجعلنا نقول: إن الشعب في مصر عديم الشاعرية.. فبقدر ما كان هناك نقص في الشعراء الرسميين، كان هناك شعر شعبي يملأ البيئات المختلفة ويثبت مالها من مواهب فنية، ويعبر عن تلك البيئات التي لم تجد شاعراً فصيحاً يعبر عنها.

وقد نشأ الشاعر الشعبي مع نشأة الحياة الاجتماعية، وعلى الأخص عندما بدأت الجماعات الإنسانية تشترك في القيام بالأعمال الصعبة، ولذلك فإن العمل هو أبو الشعر الشعبي، ويقول الأستاذ سليم حسن مؤرخ " الأدب المصرى القديم ": إن الفلاح والصانع في مصر القديمة كانا يستعينان على عملهما الشاق بغنائهما حتى لقد كان الغناء جزءاً من العمل الذي يقوم به العامل... وينقل الأستاذ رشدى صالح في كتابه القيم عن الأدب الشعبي عبارة للشاعر الروماني " فرجيل " يقول فيها:

" لنمش ونحن نغني يخف تعبنا من جراء السفر "...

وهكذا نجد أن نشأة الشعر الشعبي مرتبطة بالعمل من الناحية الاجتماعية، ومن الناحية النفسية يقوم الشعر الشعبي بتيسير المشقات على الإنسان في السفر أو في الأعمال الصعبة بشكل عام... وقد كانت هذه " الحاجة النفسية " إلي تخفيف عبء العمل عن طريق الغناء حاجة قديمة، فإذا كان سكان القصور يحتاجون إلي الشعر الذي يطربهم ويملأ فراغهم، فقد كان الفرد العادي بحاجة عميقة إلي الشعر الذي يساعده على العمل وعلى احتمال الحياة الصعبة.

وقد استاطعت البيئة الاجتماعية في مصر أن تجد دائمًا هذا اللون من الشعر، وما زلنا نرى صورة حية لاستخدام الشعر الشعبي في جماعات " الصعايدة " الذين يقومون بالأعمال الشاقة في المدن كأعمال البناء، وهم يؤدون الأغاني الشعبية التي تتناسب مع آمالهم من ناحية وتساعدهم على العمل من ناحية أخرى. وفي الريف تتعدد الصور الاجتماعية التي يقوم فيها الشعر الشعبي بدور كبير، مثل أيام الحصاد والري، أو الجماعات التي تلتقي في الليل بعد يوم من العمل الشاق لستريح في ضوء القمر، ونجد متعتها النفسية العميقة في الشعر الشعبي.

ومن هنا تجمع للأدب الشعبي تراث كبير، وظل التعريف الأساسي للشعر الشعبي هو أنه " الشعر المجهول المؤلف " حتى بدأت مرحلة جديدة في تاريخنا الوطني هي مرحلة آخر القرن الماضي وأوائل القرن العشرين، وقد كان الطابع العام لهذه المرحلة هو أن الحياة في مصر بدأت تتلقى نوعًا عنيفًا من التحدي الذي يمثله الاستعمار الغربي، وقد بدأت هذه المرحلة بدايتها الحقيقية عندما وقف عرابي، وهو فلاح من مصر، ضد قصر الخديو يطالبه بحقوق الشعب، ويعبر عن طموح هذا الشعب إلي حياة عصرية يحكم الشعب فيها نفسه بنفسه، ويتعلم، ويحرر اقتصاده ويبني دولة كبيرة لها قيمتها أمام التقدم الكبير الذي بدأ يملأ العالم الغربي... في هذه المرحلة التي طبعها الطموح إلي التقدم والتحرر، بدأ الشعر الشعبي يلعب دورًا جديدًا في الحياة الاجتماعية. لقد أصبح هذا الشعر سلاحًا هامًا من أسلحة " الثورة " وأصبح بعض زعماء الثورة يستخدمونه استخدامًا مباشرًا لتنبيه الناس لنشر مبادئ الحرية والحضارة، ولمحاربة القصر والإنجليز، فقد ظهر في الثورة العرابية زعيم كبير كان من أهم أسلحته استخدام الشعر الشعبي في عمله الثورى، هذا الزعيم هو عبد الله النديم، ولقد عاش النديم في البيئات الشعبية منذ بداية حياته، ثم كان خطيبًا للثورة العرابية، وبعد فشل الثورة اضطر إلي الاختفاء سنوات طويلة بين الفلاحين في القرى المختلفة، كان يشاركهم حياتهم وأفكارهم ومشاعرهم وفي الفترات الهادئة من حياته كان يعمل صحفيًا، وكانت صحفة وعلى رأسها صحيفتا: الأستاذ، والتنكيت والتبكيت، تعتمد على الشعر الشعبي وبالتحديد على لون منه هو الزجل، وكان هو الذي يكتب هذا الشعر ويعبر به عن آمال بلاده ويتلقاه الناس بالإعجاب ويتجاوبون معه، وكان الشعر الشعبي قبل عبد الله النديم ثورة الشعب بطريقة خاصة، فالشعر الشعبي المصري المعروف كان يدور حول معاني الحزن والصبر في معظم الأحوال، حتى في شعر الغزل والعاطفة لم يكن يخلو من هذه المعاني الحزينة.

والشعر الشعبي يعكس بهذا اللحن الحزين الآلام الجماعية ويصورها، وهو بذلك يعبر عن أولي درجات الشعور " بالثورة " وهي درجة الشكوى و " الحنين إلي التغيير "، وقد استطاع صلاح جاهين أن يعبر عن هذه الروح الحزينة في ديوانه الأول " كلمة سلام " ففي إحدى قصائد هذا الديوان يقول على لسان أحد الصيادين:

" رمي الشبك صنعتي.. والصبر دا كاري "

وفي هذا البيت تتركز روح الفن الشعبي القديم، إنها روح العمل الشاق والمصاعب الكثيرة، حتى لقد أصبح الصبر " عملاً أساسيًا " للإنسان العادي..

فالمعاني التي تدور في الشعر الشعبي القديم، هي نفسها التي تدور في وجدان الرجل العادي قبل أن يفكر في أي نوع من الثورة الإيجابية على حياته.. ففي هذا النوع من الشعر تتكرر كلمة " المكتوب " وهي تعني " القدر "، والقدر بالنسبة للوجدان الشعبي غول قاس لا يناقش، ولا يملك الإنسان أمامه إلا التسليم المطلق ولا يستطيع أن يعبر عن نفسه بأى نوع من أنواع المقاومة والاعتراض، كذلك تتكرر فكرة " الموت " ففي إحدى قصائد الغزل للشاعر الشعبي القديم أنه سئم من انتظار حبيبته التي يتمناها، وأنه لم يعد له حيلة في هذا الانتظار الذي لا قيمة له ولا نتيجة.. ولم يعد له سوى أمنية واحدة هي أن يحفروا له قبراً بين الحسان يدفن فيه:

" صبرت يا ربي لم يجيني صبر "

" في وسط الصبايا وافحتولي قبر "

.. حتى في أغانى الحب، يتمنى الشاعر الموت، فإن كان ما يمكن أن يحصل عيله من عالم المرأة وأقصى ما يمتناه هو أن يكون له قبر في الأرض يدفن فيه إلي جانب " الصبايا "، وليس هذا الإحساس بالموت هو الإحساس المعروف الذي يملأ قلب الشاعر " الرومانتيكي "، إن الإحساس بالموت عند الرومانتيكي ناتج عن حساسية مفرطة، وانطواء شديد على النفس،وهو حزن يرجع إلي " الحنين للفجيعة " إذا صح التعبير، هذا الحنين الذي يملأ قلب الشاعر الرومانتيكي عادة، لأنه يكره الحياة الطبيعية، ولا يكاد يشعر بجمالها أو قيمتها، ولكن الشيء الحقيقي الذي يعطيه إحساساً فعلياً بالحياة، هو الطعم الحاد اللاذع المتطرف،طعم الفجيعة والخطر والموت... إن إحساس الشاعر بالموت منبعث من منابع أخرى غير تلك التي يعتمد الشاعر الرومانتيكي عليها.... إن الموت عند الشاعر الشعبي ليس وليداً للخيال الحاد المتطرف، وإنما هو وليد واقع مر، وليد العجز وقلة الحيلة في أمر الحياة.. فالشاعر الشعبي القديم يشعر بمحنة الإنسان العادي في حياة اجتماعية ضيقة خانقة تجعل الإنسان عاجزاً عن ممارسة عواطفه وإمكانياته المختلفة، فليس أمامه إلا العمل والعمل الشاق، وما أقل الثمرات التي يجنيها من هذا العمل... وما أكثر ما يعمل دون نتيجة.

الشعور بالعجز وضيق الحياة هما السبب الأساسي لإحساس الشاعر الشعبي بالموت، وإنها لصورة عنيفة للحياة، واحتجاج صارخ على المجتمع.. ما يقدمه لنا الشاعر الشعبي، عندما تحرمه الحياة الاجتماعية من الاتصال بالمرأة وممارسة عواطفه الحقيقية معها فيقول: إنه لم يعد يملك من عاطفة الحب إلا قبراً يتمنى بدفن فيه بين الصبايا والحسان.

من هذه الصورة، وغيرها من الصور الكثيرة التي يقدمها الشعر الشعبي القديم نستطيع أن ندرك المعنى الذي يصوره هذا الشاعر للثورة، إنه معنى غير مباشر.. أي مجرد حزن وشكوى وضيق بالحياة، وتلك كانت هي المعاني الأساسية للشعر الشعبي القديم " المجهول المؤلف " ... فإذا كان " حزن " الشاعر الرممانتيكي ينبع من نفسه أو الألم الداخلي ،فإن حزن الشاعر الشعبي " المجهول " كان مصدره: المجامع أو الالم الخارجى والضيق النابع منهما معًا.

ولكن عندما بدأ المجتمع يخرج من سلبيته واستسلامه، وبدأ السخط والشكوى والإحساس بالضيق، تتحول كلها إلي معان إيجابية، وبدأ الشعب يدرك نتيجة لوعي بعض أفراده، أن الحياة الكئيبة يمكن أن تتغير، وأن الحل ليس قاصراً على الحزن والشكوى،واشترك الفلاحون بالفعل في ثورة عرابي الذي كان هو نفسه فلاحاً صقلته أحزان أهله وجذبته أمانيهم في تغيير الحياة... ظهر المعنى الإيجابي للثورة في الشعر الشعبي، وكان ظهور هذا المعنى مرتبطاً بقيام الثورة الوطنية وثورة عرابي بالتحديد، وبدأ الشعراء الشعبيون الذين لمعوا خلال هذه الثورة يساهمون بهذا الشعر في معارك الثورة المختلفة.

ولاشك أن عبد الله النديم كان ألمع شاعر شعبي في الثورة، وفي شعره اجتمعت بشكل واضح شخصية الثائر، ومنذ هذه البداية الجديدة للشعر الشعبي، أصبح لهذا الشعر " مؤلفون معروفون " بدلاً من الوضع القديم.. حيث كان الشعر الشعبي في معظم الأحوال " مجهول المؤلف ".

وقد ظهر في فترة عبد الله النديم أيضاً شخصية غريبة هي شخصية " يعقوب صنوع " اليهودى الذي أعلن إسلامه واشترك في الحركة الثورية اشتراكاً قوياً، وكان من أهم وسائل صنوع في التعبير عن أفكاره الشعر الشعبي أيضاً حيث استخدمه في صحفه الكثيرة التي كانت تفيض بالحيوية والعمق.

على أن الفنان الكبير الذي برز منذ أوائل هذا القرن، ورفع من المحاولات السابقة في الشعر الشعبي إلي مستوى فني جديد، مع المحافظة على ذلك التقليد الذي ورثه الشعر الشعبي في مرحلته الأخيرة وهو الجمع بين الثورة والفن.

ذلك الفنان الكبير هو بيرم التونسى، الذي ظل خلال ما يقرب من نصف قرن أميراً للشعر الجديد بموهبته الفنية الخصبة، وعمق صلته بمطالب الثورة بين صفوف الشعب، تلك المطالب التي تتركز في الحاجة إلي مجتمع جديد خال من الاستعمار، وخال من العيوب التي كانت تحطم هذا المجتمع وتقلل من قدرته على التطور والتقدم، وبيرم التونسى فتح عينيه على الحياة الفنية في وقت كانت فيه فكرة التطور فكرة شعرية وفنية ، ففي هذا الوقت كان هناك سيد درويش يجمع الألحان الشعبية، ويصقلها ويجددها، ثم يبتكر هو ألحاناً جديدة ولكن بنفس الروح التي أحيت الألحان الشعبية وفهمتها وانطبعت بطابعها إلي الأبد، وفي نفس الوقت كان هناك مختار النحات الذي حاول هو الآخر أن يعبر عن نهضة الشعب تعبيراً فنياً شاملاً في تمائليه المختلفة.

في هذا الجو، وفي هذه البيئة الفنية، بدأ بيرم التونسى يكتب شعره الشعبي، ولو راجعت الجزء الثانى من ديوانه على سبيل المثال لوجدت معظم قصائده يدور حول قضايا اجتماعية ووطنية، فالديوان تدور قصائده حول هذه الموضوعات: زوجة السجان – الفقر – ثورة ١٩١٩ – إيه نابنا من الحرب؟ – استقلال عدلي باشا – احتلال سوريا – عبد الكريم – مجلس الأمن ..

لقد ورث بيرم التونسى كل تقاليد الشعر الشعبي في مراحله المختلفة، وقام بعملية إحياء عميقة وتطوير موهوب لهذه التقاليد، وساعدته على ذلك موهبة غنية، فهو بحر لا ينتهي من الصور الشعبية، والألفاظ الشعبية.

وقد ظل بيرم التونسى في ميدان الشعر أميراً لا ينافسه أحد طيلة هذه الفترة الطويلة التي تبدأ من مرحلة التمهيد لثورة ١٩١٩ إلي قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢.

ومع مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ظهر صلاح جاهين ليكون خطوة جديدة لامعة في تطور الشعر الشعبي، وليحتل بموهبته الكبيرة المكان الذي أصبح خالياً بعد أن أعطانا أمير الشعر الشعبي أروع ما عنده.

* * *

من الأهمية بمكان كبير أن نعرف شيئًا عن البيئة التي ولد فيها صلاح جاهين... وإذا كانت البيئة الأولى لا أهمية لها بالنسبة لبعض الفنانين فهي بالنسبة للبعض الآخر تلعب دوراً آخر على جانب كبير من الأهمية ومن بين هؤلاء صلاح جاهين.

ولد صلاح جاهين سنة ١٩٣٠ في بيت كان بطله وفارسه الأول واحداً من تلاميذ مصطفي كامل وزملائه في الثورة، ذلك هو أحمد حلمي، رئيس تحرير جريدة اللواء، وجَدّ صلاح جاهين... ومصطفي كامل كان يقود ثورة من نوع خاص، فقد كانت روح مصر قد أصابها اليأس بعد انهيار الثورة العرابية وفشلها، وكان مصطفي كامل هو أول ابتسامة وسط هذا الضباب وأول شعاع من الأمل، وكان أحمد حلمي من أكثر المتحمسين لمصطفي كامل، وللروح الجديدة التي يمثلها وقضى هذا الرجل حياته في صراع ضد الاستعمار عن طريق عمله في الصحف، ثم سجنه الإنجليز متهماً بالوطنية والدعوة إلى الثورة عليهم، وكان كاتباً وشاعراً، وقد كان شعوره الوطني يلون كل شيء حتى حياته اليومية، فكان إذا رأي أحداً يضرب طفلاً فإنه يقول: اتركوه ربما كان هذا هو الذي سيخرج الإنجليز من مصر...

كان أحمد حلمي امتداداً لجناح المثقفين في ثورة عرابي، وكان مثل بقية الحزب الوطني في عهد مصطفي كامل ومحمد فريد، من أبناء الجيل الثاني لهذا الجناح.

وقد عاش صلاح جاهين طفولته الأولى في هذا الجو، وتربت فيه هذه " الحاسة الشعبية " منذ طفولته الأولى من خلال الأحاديث والأحداث والأشخاص الذين كانوا يحيطون بجده، ويكونون الجو الرئيسي للأسرة كلها.

هناك مرحلة أخرى غير مرحله الطفولة ، كان لها تأثير عميق على شخصية صلاح جاهين، فقد عاش مع والده الذي كان قاضياً في بعض القضايا المعروفة في تاريخ الفلاحين، مثل قضية " بهوت ". التي كانت قائمة على أساس الصراع بين الفلاحين وبعض الإقطاعيين، حيث حاول الإقطاعيون أن يستغلوا سلطانهم ضد الفلاحين وأن يرغموا القانون على أن يكون في خدمتهم ، وكان ذلك سنة ١٩٥١ حيث كان صلاح في مطلع شبابه، وبداية وعيه الفني، وقد أثرت قضية " بهوت " على نفسه، وانطبعت بعمق في وجدانه، وكانت هذه القضية التي وضعت حداً لتردد موهبته الفنية في البحث عن طريق، فاختار صلاح جاهين من يومها لموهبته أن تجد مادتها في حياة الشعب ومشاعره.

* * *

من تقاليد الشعر الشعبي الإيمان العميق بالجمال الحسي الملموس، والميل إلى تحويل " الموضوعات " إلى أشياء معشوقة يتحدث عنها الفنان الشعبي كما يتحدث عن حبيبته التي تعيش في قلبه، ولا شك أن الفنان

الشعبي صادق الإحساس في هذه النزعة، فالحب هو أرقى العواطف البشرية،وهو أغنى منابع الفن، ولقد أصبح القمر في وجدان الإنسانية كلها شيئًا جميلاً، لأن الفنان منذ القديم كان يشبه وجه المحبوبة بالقمر، أي إنه كان يعطي للقمر صفة إنسانية، عاطفية.... لذلك فالقمر في وجداننا دائمًا هو مثال للرقة والجمال والعذوبة.

من هذا المثل البسيط نستطيع أن ندرك عمق الشاعر الشعبي وصدق فطرته، عندما كان يضفي على الطبيعة، وعلى كل الأشياء المحبوبة، صفات "العشق " و " العاطفة ".. وهو يضفي هذه الصفات على الحبيبة، وعلى الصديق، وعلى الزعيم أو البطل... فشخصية " النبي " وهو بطل من أبطال الشعر الشعبي، لا يستطيع الشاعر أن يتصورها بدون أن تكون في عينيه مثلاً أعلى للجمال والوسامة.. فالنبي حلو، جميل، تفيض صفاته المعنوية على حواسه، فيصبح وجهه مضيئًا وعيناه ساحرتين كأنهما عينا شخص محبوب معشوق...

وعندما نعود إلى الموال المشهور عن الأدهم البطل الشعبي نجد أن هذا البطل كما يصوره الموال كان وسيمًا حلوًا، كأنه فتاة عذراء فاتنة،والشاعر الشعبي عاشق يتغزل فيه أرق الغزل وأجمله. هذه النظرة العاطفية العاشقة عن الشاعر الشعبي، لا تتخلى عنه حتى في أغاني الموت ، ففي إحدى "البكائيات " التي يرثي بها الشاعر فتاة، تتحول القصيدة إلى غزل حسي عجيب... يقول الشاعر في هذه القصيدة " الأدب الشعبي – رشدي صالح ص ٢٥٢ ":

" يامٌ الجطيفة،، جطيفتك حمره

تحلى الجطيفة في ليلة الدخلة

يام الجطيفة جطيفتك زيتي

تحلى الجطيفة لما تيجي يبتي

يام الجطيفة جطيفتك وردي

خلي الجطيفة لما تيجي عندي

يا مغسلة، عدي خواتمها

لحسن تكون دهشانه وجعوا منها "

فالقصيدة رغم نغمها الحزين وجوها الحزين تكاد تصبح قصيدة غزلية تتغنى بجمال الحبيبة وحسنها، وتلك صفة أساسية من صفات الأدب الشعبي: إضفاء الطابع الغزلي العاطفي على الأشياء والأشخاص والمواقف التي يتغنى بها الشاعر، وبذلك تكون قريبة إلى النفس، وتكون " مادة شعرية" خصبة... فالحب والجمال هما أكثر الموضوعات شعرية في هذا العالم.

وصلاح جاهين، يمتلك هذه الحاسة الشعبية العميقة، إنه مثل الشاعر الشعبي القديم، ينظر إلى موضوعاته نظرة العاشق إلى حبيبته، وبذلك تكون هذه الموضوعات قريبة إلى نفس الشاعر، قريبة إلى نفس القارئ وتصبح صفاتها الإنسانية الجميلة مادة فنية خصبة.

هذا " التناول الشعري " العاطفي ظاهرة واضحة هامة في هذا الديوان والفرق بين الشاعر الشعبي القديم وصلاح جاهين، هو فرق في الموضوعات التي تثير حاسة شاعرنا الجديد، هي أيضًا موضوعات جديدة، حددتها تربيته الأولى التي أشرنا إليها وحددها وعيه الذي اكتسبه بثقافته ومعرفته لروح عصره وللتيار المتقدم فيه.

فعندما يتحدث صلاح جاهين عن أسوان، فهو يتحدث عن فتاة سمراء حلوة، وعندما يتحدث عن الحديد الذي يملأ أسوان فكأنما يحدثنا عن صدر هذه الفتاة الممتلئ المثير أو كأنه يحدثنا عن عينيها الجميلتين الساحرتين أو عن شعرها الفاحم الطويل، أو عن لونها الجذاب الدافئ ... إنه عندما يتحدث عن أسوان يكاد يثير فينا " شهوة " حسية تصاحبها نشوة يكاد الوجدان من حلاوتها يخلط فيها بين الحلم والواقع:

" أسوان بنت بنوت المجد خاطبها

لها معاد مثبوت تو في حبايبها

أسوان نشوانـة وقلبها بيدق

بزنود عرقانـة بين الصخور تنشق "

النيل ما بين أسوان وبين حلوان

سافر وغنى غنوة المصنع

آه، ياسما يا مغيمة دخان

مطرك عنيد منه الحديد زرّع "

وفي قصيدة أخرى هي " المكن " يتحول إيمان صلاح جاهين بالآلات وإيمانه بالمجتمع الصناعي، إلى عاطفة حب، وشعور مليء بالنشوة والاندفاع العاطفي الغني بالعذوبة والحيوية، إنه هنا يشبه تمامًا الشاعر الشعبي القديم، الذي كان " يحول إحساسه الديني " العميق، إلى غزل، وعشق ونشوة تكاد تكون نوعًا من الخدر والسكر،وذلك عندما يتحدث عن " النبي " " الزين " الجميل " " الوسيم" .. ثم يدور حول هذا المعاني، فيعبر عن حبه للنبي، بنفس " الأرق " الذي يعانيه العشاق " السهر " في طلب " الوصال " تمامًا كما يفعل هؤلاء العشاق.

بنفس هذا الشعور يقابل صلاح جاهين " المكن" ويعطيه صفات المحبوب وحقوقه ، ويغنى له، وترقص الدماء في عروقه، كأنه مقبل ظمآن على موعد غرام ملتهب.

" مليون براوة يا ناس على دي تروس

دي سواقي دايرة شايلة بحر فلوس

تسقيه للمكن اللي جاي لنا..

.....

قابلوا المكن بالحضن والزغاريد

عقبال ما تعمل زيه عمالنا

.....

احصد غيطان الصلب يا عثمان

الشعب مصتنظر كنوز أسوان "

ويزداد الطابع الإنساني العاطفي قوة، حتى يصبح نوعاً من العلاقة العضوية البيولوجية.. علاقة خصبة ونمو وتوالد تماماً كما يحدث في عالم الإنسان، حيث تكون العاطفة الحارة مقدمة للتوالد واستغلال خصوبة الإنسان.. يقول صلاح في نفس القصيدة:

" بكره مكن بره يجيب مواليد

ومكن جديد عربي يوماتي يبان "

وفي هذه القصيدة يستعين صلاح جاهين بكل الوسائل الفنية ليعبر عن هذا الإحساس بالنشوة العاطفية والمادية نحو " المكن " و " العمل "... إنه يرى بعمق بصيرته الشاعرة تلك الصلة بين الآلة والإنسان، فالآلة في العصر الحديث هي مهاد الرخاء والسعادة، وفي جوفها الأبكم أحاديث عميقة مليئة بالآمال، إنها تحمل مستقبلاً سعيداً للطفل، وترسم حبابين الفتاة والشاب خالياً من عذاب الفقر الذي يدمر ويسحق. وعلى يديه تذبل زهور العواطف الجميلة وتصفر وتموت.. بهذه العين يلمح صلاح جاهين المعنى الإنساني للآلة فيرى فيها كنزاً من الشعر و الشعور:

" غنى العمل

رقص الأمل "

أو يقول:

" دمي اشتغل

قلبي اشتغل "

أو يقول:

" وانا كنت عمري لم رأيت منجم

يا فرحتي وانا وسط عماله

رعد المطارق في الجبل دمدم

بنغم مفيش أنغام في جماله "

إنه يستخرج من روح العمل أنغامًا جميلة . بعضها فيه رقصة سريعة نشوانة. وبعضها " موال " تحلو فيه نغمة الامتداد والطول والتموج.

ولا يفارقه أبدًا ذلك المزاج الفني الذي يربط بين العمل من جانب وبين الفرح والحب من جانب آخر فهو ينادى العامل:

" اعمل لنا مسمار .. واعمل لنا أجَنَة

اعمل لنا مزمار... واعمل لنا مكنة

وهكذا فصانع المسمار سوف يصنع المزمار.. لأن المستقبل المادي السعيد لا بد أن يحمل في قلبه مستقبلاً معنويًا حلوًا عميقًا.. فيه غناء وتفاؤل.

وبنفس هذه الحاسة الشعرية العاطفية يتحدث صلاح جاهين عن الأرض، فالأرض فتاة حلوة، والفلاح عاشق يفهم العشق فهما طبيعيًا جميلاً هو: امتزاج بين الروح والجسد، بين نبضات القلب ونشوة الدم:

" الأرض قالت آه

الفاس بيجرحني

رديت وانا محني

آه منك انت آه "

إن الأرض تتحدث حديثًا ناعمًا أنثويا، كأنها فتاة في حضن حبيبها.. حبيبها الذي يخدرها وينعشها في لحظة ارتماء واسترخاء على صدره وبين ذراعيه.. عندما يرد الفلاح على آهات حبيبته الأرض فإنه يتحدث بلسان العاشق أيضا: آه منك انت آه.. ففي الحب العميق الصادق المتبادل بين الاثنين لا يقتصر الحنين ولا الشكوى على واحد... بل إن الجانبين يشكوان ويشعران دائمًا بالحنين والظلم حتى وهما في لحظة اللقاء، وكلما ازدادت لحظات الوصال اشتعل من جديد، حنين جديد، وكلما ارتوى العاشق ظمأ .. تلك شريعة العشق الحقيقي الصادق.

وترتفع درجة الحرارة في هذا اللقاء فتتحول إلى نشوة حسية عميقة:

" الأرض قالت حِن

طيرتني فتافيت

رديت وقلبي يئن

وانا مين يجيب لي مغيت

منك ومن عشقك "

هنا حب في درجة حرارة عالية، هنا عاشقان يلتقيان لقاء جسدياً.. هنا لحظة حسية مليئة بالنشوة، والقوة،والضعف.. فيها أنين خافت، ودم ملتهب، وانحناء، وعناق طويل.. " آه " هنا ليست شكوى ولكنها متعة ولذة وكلمة " حِن " هي استرحام الأنثى وهي تعتصر نفسها في عذاب اللذة.

إن شاعرية صلاح جاهين وحساسيته تصلان هنا إلى مستوى رفيع. وليس هناك أروع وأصدق من تشبيه العلاقة بين الأرض والفلاح بالعلاقة الجسدية والنفسية بين حبيبين.. فالجنس هو طريق الإخصاب والتجدد والنمو في الحياة وهو يعبر عن لحظة مليئة بالحرارة والتوهج في الحواس، وإذا كانت هذه اللحظة الحية مبنية على الطاقة، فإنها ستكون أيضًا توهجًا وحرارة في المشاعر، وهذا النوع من النشوة الحسية الشعورية هو أعمق أنواع النشوة في الحياة، وقد استطاع الشاعر أن ينقل تلك النشوة إلى العلاقة بين الفلاح والأرض، حيث كل شيء عند بصيرة الفنان العميق، يوحى بهذا النوع على التحديد من العلاقة.. فهي جهد من أجل الخصب، ومزيد من الحياة والنمو... وذلك ما يحدث للأرض بعد أن يعصر الفلاح جسده فيها. وهو يحصره فيها بإعياء ولكن بنشوة أيضًا.

ثم يدور هذا الحوار الداخلي في القصيدة الجميلة الرائعة بين الفلاح والأرض.

" عيني عليكي سنين

محني عليكي، أب

عبيت في بطني طين

ولغيري عبيت حب

أنا حالي من حالك

عتبك على المالما

ياأرض يا فدادين "

إن حرية الأرض ليست في يد حبيبها الفلاح والأرض إذا كانت حزينة تشكو، فهو أيضًا حزين يشكو، ولكنهما يتبادلان الشكوى ولا يسمع الشكوى وينصت إليها غير الحبيب العاشق. وفي آخر القصيدة يتوج الشاعر هذه العلاقة التي بلغ من عمق طابعها أن تحولت إلى علاقة عاطفية:

" واسيني واسيني

يا أرض يا عروستي

عمرك ما تنسيني

ولا حضني ولا بوستي

ده انا يوم ما انول يدك

واختم على عقدك

الريح يرسيني"

وبهذا الغزل الرقيق والصريح مما يعبر الفلاح عن إحساسه نحو أرضه إنها " عروسة "، وهو يسعى إلى " أن ينال يدها " كما يسعى الفتى إلى الزواج بحبيبته.. والكلمات هنا رقيقة وحرف "السين" حرف رقيق ناعم له جرس ونغم.. وهو اختيار فني مقصود يعطينا موسيقى الحب التي تنبعث في الألفاظ.. " واسيني، واسيني، ماتنسيني. بوستي. يرسسيني " فبعد الحرارة الحسية المرتفعة التي تبدأ بها القصيدة يعود الهدوء الهامس، والغزل الرقيق الوديع أي روح الحبيب.. الفلاح

تلك هي الحاسة الشعرية التي يعالج بها صلاح جاهين،موضوعاته، وهي حاسة موروثة عن الأدب الشعبي بدون جدال، ولكن الشاعر استفاد منها استفادة عميقة في موضوعاته، فنشعر أن الشاعر الشعبي الذي بدأ بالأنين والشكوى من الحياة والمجتمع في الشعر الشعبي القديم، وتطور إلى ثائر يطلب التغيير السياسي في شخصية عبد الله النديم ويعقوب صنوع،ثم تطور إلى نظرة شعرية شاملة لأمور المجتمع في الزواج والعمل والعلاقات الاجتماعية المختلفة عند بيرم التونسي .. هذا الخط المتطور قد وصل إلى نقطة جديدة عند صلاح جاهين.

فصلاح شاعر مثقف له نظرة حاسة إلى الحياة الاجتماعية ، وهو يعرف ما يريد ويعرف نوع الحياة التي يتمنى أن تسود في بلادنا، فهو يكره الإقطاع ويتعاطف مع الفلاح، يرى أن المستقبل يولد بين أدخنة المصانع، وضجيج الآلات، ويرى أن الحضارة تنمو وتزدهر في عالم يسوده الهدوء والسلام والتعاون، لا في عالم متحارب يقوم على " تنازع البقاء " لا على " تعاون البقاء " وهو يؤمن بالوحدة العربية. ويؤمن بتطور الجماعة في نفس الوقت الذي يحب فيه للجماعة ألا تسحق الفرد وتقضي على استقلاله مما نرجو أن يشير إليه بعد قليل.

كل هذه الأفكار الواضحة قد ساعدته على اختيار موضوعاته بما يتلاءم مع العصر وبما يجعله أرقى مستوى من الوعي وصل إليه الشعر الشعبي في مصر خلال نصف القرن الأخير.

ولم يكن هذا الوعي ليصبح ذا قيمة على الإطلاق لو أنه كان وعياً يتميز به فنان متوسط الشاعرية، أو أقل من المتوسط، إن الوعي يساعد الفنان على التوهج والتألق، ولكنه لا يخلق الفنان... فالوعي وحده لا يخلق إلا الكاتب أو الباحث، أما الفنان فلا يد له من الموهبة الفنية، وهذا هو ما يتميز به صلاح جاهين إلى جانب وعيه العميق.

وصلاح جاهين يستفيد من وعيه في اختيار موضوعاته، وإيمانه بما يختاره من موضوعات إيماناً لا يمكن بدونه أن تنطلق الموهبة الشعرية بصدق وإخلاص في التعبير.

وكما أضفى صلاح جاهين الصفة الإنسانية بجوانبها المادية والشعرية على الآلة، والأرض، والعامل والفلاح، فقد أضفاها أيضًا على تجمعات الشعب ففي أغنية " احنا الشعب " يقول:

" يا حلاوة الشعب وهو بيهتف باسم حبيبه "

فكلمة الإعجاب هنا هي كلمة صادرة من القلب والعاطفة... والشعب هنا " معشوق ومحبوب " والزعيم، قد تحول إلى " حبيب "... وهكذا فالصورة كلها صورة عاطفية حية، حولت العلاقة بين الشعب وزعيمه من مجرد إيمان عقلي واعتقاد فكرى إلى علاقة حب وعاطفة.

وهذه النظرة الشعرية تملأ شعر صلاح جاهين، وخاصة هذا الشعر الذي يعبر عن قضايا وطنية أو اجتماعية أو سياسية، فالاشتراكية في قصيده " كلام في السياسة " هي باحلم تملي بالسعادة والأمان، باحلم أعيش من غير ما خاف غدر الزمان.. وان جيت ونلت المنى.. يصعب عليّا الهنا .. من غير ما يتنهوا جميع الناس كمان ".

فالاشتراكية هي: الحب والسعادة للفرد في عالم مليء بالحب والسعادة، والقطن يبدو كأنه فتاة جميلة تزهو بجمالها: " با معجباني يا ابيض يا معجباني – يا قطن يا اللي مبيض وش الغيطاني ".

ثم:

" قطن يا قطن يا قطن

تعالالي بالحضن

ولا تضحك غير في عبي من فيض حناني

يا معجباني يا ابيض يا معجباني "

وعندما ما يتحدث عن السلام، فلأن ترجمته في حياة الناس هي الحب والعاطفة:

"باحب السلام وباحبك يا شابة

وباحلم كتير بحياتنا سوا "

وعندما يتحدث عن " جميلة " بطلة الجزائر، فسرعان ما يتحول هذا الحديث إلى غزل عاطفي عميق:

" شفايفها لما تضحك

زى شفايف ثريا.

وعيونها بالحواجب

تمام شبه سنية

وشعرها المموج

مفروق من الشمال

على الموضة البناتي

زى عروسة كمال "

إنها غزل جميل، فهي حلوة رقيقة مثل أختك أو زوجتك أوخطيبتك أو حبيبتك، إنها واحدة من البنات الجميلات المليئات بالحياة، وهو بذلك يثير عواطفنا من الزاوية الإنسانية لا من الزاوية السياسية، ويصل إلى منابع الشعر الحقيقة في موضوع جميلة.

بهذه الحساسية الشعرية العميقة يعالج الشاعر موضوعاته وينظر إليها، وبقدر ما هو صادق وموهوب، فإنه أيضًا عصري، يعرف أين يكمن الشعر في زوايا عصرنا،وأي الأحداث تصلح مادة شعرية وهو يأخذ مادته الشعرية فيقربها إلى القلب الإنساني عندما يكتشف صلتها به، وعندما يلمح ذل الخيط الدقيق الذي يربط بين الآلة، والسعادة، وبين الأرض والحب، بل وبين الأرض والجنس والإخصاب.

ولابد هنا من الاستطراد قليلاً، ففي العصر الحديث ظهر شعراء يتغزلون في الآلة ويبحثون عن الشعر بين الذين يعلمون ويتعبون، ويجدون في العلاقات العادية، مثل العلاقة بين الزوجة وزوجها الذي يتعب من أجلها ومن أجل أطفالها، ومن أجل بعض الأفراح الصغيرة الأخرى... يجدون في ذلك شعرًا عميقًا ، فيلمحونه ويلتقطونه ويصوغونه ألحانًا حلوة قريبة إلى الشعور الإنساني الصادق.

وإني لأذكر هنا " والت ويتمان" وهو شاعر ظهر في أمريكا منذ أكثر من ستين سنة وكانت أمريكا تمر بظروف أشبه بظروفنا ، فهي بلد الصناعة الحديثة،وهي بلد البحث عن التحرر والتطور الاجتماعي... والجمال في الأفراد العاديين من أبناء المجتمع سواء وعلي الأخص الفقراء أو المعدمين الذين يعملون من أجل القوت لحظة بلحظة وكان يغني لسائقي العربات " الكارو" " والشياليين "... وكان شعره مع ذلك حلوًا عميقًا يشهد له كبار النقاد بأنه مثال راق من البلاغة والجمال الفني

وصلاح يصل بأسلوبه الذي ورثه عن تقاليد الشعر الشعبي إلى نفس الآفاق الإنسانية الرحبة عندما يغنى بطريقته الفنية، للآلة والعمل وللأرض والمصنع، وللقطن، ولمختلف القضايا الأخرى التي تتصل بالتطور والحرية.

...

عاش صلاح جاهين معظم حياته في المدينة، والتجربة العميقة للحياة في مدينة كبيرة تدفع الفنان الصادق إلى موقف خاص، فمهما كان له من أفكار عن التقدم والتطور ، ومهما كان إيمانه بهذه الأفكار... فإنه سيجد نفسه، في النهاية، وحيدًا حزينًا... وحزن الفنان هنا هو نوع من حزن الأنبياء والمتصوفين، فالبرغم من أن هؤلاء يكونون أصحاب رسالة إنسانية للإصلاح والخير،! إنهم يشعرون في داخل نفوسهم بالوحدة والحزن وصعوبة ما يتحملون في هذه الدنيا من مسئوليات، وفي القصص الدينية قصة حزن شهيرة هي قصة أيوب، النبي الذي كان يعيش في السعادة،ولكنه أصيب بالمرض، لكي يتألم ويصبر ويدخل بذلك الاختيار الصعب القاسي الذي يجعل منه قديسًا ، كأن الألم والعذاب هما الشهادة الوحيدة إلى عالم القديسين.

وقد استطاع صلاح في موضوعاته العامة أن يربط نفسه – صادقًا – بفكرة التطور، وتحسين الحياة ورفع مستواها الحضاري، وكتب شعرًا يتناول هذه الفكرة مستفيدًا من تقاليد الشعر الشعبي وأساليبه الفنية... ولكن هذا الشعر على كثرته لم يعطه اطمئنانًا كاملاً لتجربة الحياة، يعطه ثقة نهائية بمعنى وجود الإنسان في الدنيا، فظلت في نفسه منطقة خالية من الطمأنينة، تبحث وتسأل أكثر مما تستقر على جواب يقيني ولا يمكن فصل هذه المنطقة النفسية عن حياة الشاعر في المدينة، فليس هناك شيء يتحدى الإنسان العصري مثل المدينة باتساعها وزحامها وقوة اندفاعها الغريب.. إنها تتحدى الفرد، وتظهره صغيرًا ضئيلاً أمامها، وتكاد تقول له في النهاية: أنت لا شيء ، وكل فنان أصيل لابد أن يهز وجوده المعنوي عندما يقف وجهًا لوجه أمام قوة تريد أن تدمر ذاته وتسحق شخصيته الفردية، وقد كان هذا الشعور هو مصدر جانب من قصائد هذا الديوان تعبر عن تجارب الشاعر الذاتية، وكلها تجارب تتصل بحياته في المدينة.

وإذا كان الحزن هو الطابع العام لهذه القصائد، فإن " الحنان " هو المعنى الرئيسي الذي يبحث عنه الشاعر من خلال قصائده... إنه يبحث عن الدفء الذي يشبع الحرارة في عزلة الشعور، يبحث عن التجاوب النفسي العميق الذي يخرجه من وحدته في عالم صاخب لا يلتفت إلى الفرد وإلى مطالبه الروحية، وفي قصيدته الرائعة " شوفي قد إيه " يقول صلاح:

" خبيني في شعورك يا بت

أحسن عروقي اتخشبت

شعرك خشن زى الحرام الصوف يا بت

خبيني فيه م الزمهرير

ونيميني في السرير "

إنه يبحث عن ملاذ، يبحث عن دفء لروحه ونفسه، يبحث عن الحنان الذي يقدمه الآخرون للقلب الوحيد المتسوحش، ومن خلال هذا الشعور ينظر إلى فتاته، ويتصور شعرها هذه الصورة الغريبة الجديدة الرائعة.. إنه يرى شعرها دفئًا ماديًا... كأنه " حِرام الصوف " في " الزمهرير ".

على أن هذه القصيدة تقدم صورة أخرى عميقة وجديدة " للحنان ".. وهذه الصورة تتغير من أرقى "الصور " الشعرية في الأدب العربي الفصيح والعامي على السواء:

" دخل النبي برادان خديجة لفته

حطت عليه غطيان لحد ما دفته

دخل النبي بردان وقال فين الغطا

البسمة غطت شفته "

فالشاعر هنا يكشف في " النبي " عن الإنسان الذي لم تغنه قوته النفسية عن الحاجة الإنسانية العميقة.. عن الحنان، فحتى الرجل العظيم الذي ترفعه عظمته إلى عالم ينفرد فيه بنفسه بعيداً عن الناس يعود إليهم... فهو بحاجه إلى صدر حنون وشفة باسمة تغطى شفته.. بحاجة إلى دفء إنساني يرعاه ويدفعه.

وفي قصيدة " يا بو قلب وحيد " يقول:

" انت من غيري وانا من غير حنان

ياما قلبي من شقاه دق البيبان

كل باب مقفول على جنينه هنا

وابو قلب وحيد مالوش فيها مكان "

إن الصلة النفسية الصحيحة بين الناس تقوم في نظر الشاعر بوظيفة أساسية هي توفير " الحنان" للقلب البشري،ولن يتوفر جو الحنان إلا عن طريق الحب... ولذلك فإن الشاعر يؤكد دائماً على هذه العاطفة فهي العاطفة التي تعطي للحياة طعمها، وهي التي تنقذ الإنسان من وحدته ووحشته، وتدفئه وتحنو عليه... ولكن معنى الحب في قلب الشاعر عميق، عميق.. إن الحب ليس هو العاطفة التي تقتلها العادة وليس هو المصلحة المشتركة بين اثنين.. قد تكون في هذه الأشياء رائحة للحب ولكنها ليست هي " الحب " الذي يحس به الشاعر.. والآن معنى " الحب " في نظره عميق.. عميق .. فهو يحس أن من الصعب تحقيقه.. وهو عندما يحقق فرحة الحب ونشوته في لحظة من اللحظات يشعر أنه وصل إلى شيء كبير غير عادي.. إنه لا يتصور أن هذه الفرحة يمكن أن تدوم.. فالحب نادر وصعب:

" ح نروح فين.. كفاية

فرحنا يومين.. كفاية

.....

لكن اللي سهر على طول

إحساس كان حارمني النوم

في اللحظة الجميلة يقول

راح يخلص ده كله في يوم ".

إنه الإحساس الحزين يطارد الشاعر بشكل عنيف، وهو يلمح نهاية الحب دائماً، نهاية الشيء الجميل الذي يسلمه بعد ذلك إلى حياة الوحدة والحرمان والشعور بالفراغ.. وحسبه أنه " فرح يومين "" كفاية ".. فلا يمكن أن يحدث أكثر من ذلك.

وفي قصيدة " البيانولا " يقدم صلاح جاهين لوحة شعبية ساخرة ضاحكة، ولكنها مع ذلك تفيض بحزن داخلي، فهي أيضًا صورة لإنسان يبحث عن الحنان، ويشعر أن الشيء الأساسي الذي ينقصه هو الحب... بالرغم من أنه لا يملك شيئًا آخر... لا الحب ولا غير الحب... إنها لوحة ضاحكة فعلاً.. ولكنها ضحكة الحزين المبتئس، الذي يخفف بضحكته مرارة حرمانه وأساه:

" أنا دبت وجزمتي نعلها داب

من كتر التدوير ع الأحباب

.....

أنا عارفك يا حبيبي لما الاقيك

على فسحة في جميع الطرقات "

وفي قصيدة أخرى يقول:

أنا صاحب البيت والاضيف

مكان غريب

كأنه سجن، كأنه مخدع لحبيب "

" مخدع الحبيب " مكان غريب في نظر الشاعر يكاد يشبه السجن.. وهذه الصورة ترسم إحساس الشاعر بالحب، ومدى الصعوبة في تحقيقه والوصول إليه.

وفي أغنية أخرى يقول:

" أنا هنا يا ابن الحلال

لا عايزة جاه ولا كتر مال "

فالحب ثروة حقيقية تغني عن غيرها من الثروات الموهومة،وصورة البنت في هذه القصيدة هي صورة الإنسانة الجميلة الوديعة التي تبحث عن الحب مجردًا من كل ما تعارف المجتمع على إضافته إلى هذه العاطفة الراقية من أشياء: مثل الثروة والأسرة.. وغير ذلك من المعاني الخارجية التي ينبغي أن يتجرد عنها الحب، فالحب في ذاته ثروة، وأصل ونسب

إن مصدر هذه المشاعر كلها راجع إلى تجارب المدينة، التي تفرض نوعًا من الحياة يدفع بالشعور إلى العزلة والوحدة، ويجعل كل هذه الأشياء الكثيرة التي تراها العين، وتمر بشعور الإنسان عشرات المرات كل يوم، عاجزة عن أن تعطي اللمسة النهائية، اللمسة الساحرة التي تريح القلب وتعطيه السلام والطمأنينة... والمدينة بالنسبة للفنان الحديث تشبه الطبيعة بالنسبة للفنان القديم، فالفنان اليوناني مثلاً كان يبني أدبه على صراع الإنسان مع الطبيعة.. لم يكن العلم قد تقدم، فكان المطر والرعد والبرق والسحاب والعواصف، والأنهار والبحار،

كانت كل هذه الأشياء ترهب الإنسان وتخيفه، وتشعره بأن هناك قوة مجهولة تسيطر على العالم، ولذلك نشأت الأساطير اليونانية، وقام عالم الآلهة الواسع، الذي اعتمد الفنان اليوناني عليه فكتب الملحمة والمسرحية وألف القصص الأسطورية.. وكانت كلها تنبع من خوف الإنسان وصراعه ضد الطبيعة، ويظهر أن الإنسان قد حكم عليه، بالخوف الدائم والقلق، مهما تغيرت الأسباب واختلفت الدوافع على مر العصور..

والواقع أن الأسباب تتغير وتبقى النتيجة كما هي، فالإنسان دائمًا يقف أمام قوة أكبر منه، يحاول أن يسيطر عليها ويخضعها له فلا يستطيع، ويظل يصارع ويصارع دفاعًا عن نفسه.. وهذا الصراع هو دائمًا نبع أصيل للمشاعر الكبيرة التي يعتمد عليها الفن.

إن المدينة المصرية تعز شعور الفرد بذاته، وتكاد تجعل منه نسخة طبق الأصل من الآخرين، ليتصرف ويعيش ويتحدث مثلهم.. والفنان الأصيل لا يمكن أن يكون تقليدًا للآخرين، ولذلك فهو يقاوم تلك العوامل التي تحاول أن تهدمه أو تشكله حسب صورة معينه، والأضواء، والألوان الصاخبة لا تغني الفنان عن تحقيق ذاته، إن هذه الأشياء لا تعدو أن تكون كما قال فنان أوروبي عندما رأى مدينة أوروبية كبيرة.. " هذه زينة مفجعة ".

وهذا التحليل ينطبق فيما أعتقد على صلاح جاهين.

إن إرادته الفنية هي الشعر الشعبي، ولكن بعض قصائده لا تفترق أبدًا ، في الأحاسيس والمشاعر، عن الشعر المصري الذي يصور أزمة الإنسان في الحضارة الحديثة، حضارة التعقيد.. حضارة المدينة.

وفي هذا النوع من القصائد يظهر حزن عميق، يعبر عنه صلاح جاهين تعبيرًا فنيًا شديد الحساسية ومن أمثلة هذه القصائد " ولد وبنت " " شوفي قد إيه" – " بكائية " – " ميلاد "..

وكلها تصدر عن نفس حزينة، ونغم هامس، وبحث متلهف عن مأوى دفيء للنفس، بل وذعر من الحياة التي يعانيها الإنسان وحيدًا وسط عالم صاخب مليء بالضجيج، لا يعبأ بمشاعر " الفرد " ولا بأحاسيسه الذاتية، أو مطالبة الروحية.. خاصة إذا كان هذا كله متصلاً بنفسية فنان أصيل حساس.

إنها تجربة الظمأ الروحي، تجربة الإحساس الوحيد، تجربة البصيرة التي لا تقتنع بالمظاهر الخارجية للحياة، ولا يمكن أن تسلم نفسها إلى قالب جاهز مستقر يمنح السلام في إطار من البلادة، أوالهدوء الجامد الرتيب!..

وهو ظمأ العصر.. ذلك الذي يعانيه صلاح جاهين..

وقد كان ضمن هذه القصائد لوحة كاريكاتيرية ضاحكة اسمها " أنا راجل فيلسوف ".. ورغم أن صلاح جاهين يستخدم موهبته العميقة في الفكاهة إلا إنه مع ذلك يعطينا صورة للإنسان " المهشم " الذي يعيش في المدينة: تسحقه الظروف، وتشوه شخصيته، وتحوله إلى أمثال للفكاهة والسخرية.. وكان يطمح أن يكون مثالاً للعقل الناضج والشخصية القوية، والواقع أن الطابع الضاحك لهذه اللوحة يزيدها روعة.. فالمأساة في شدتها

أحياناً إلى حد نسخر فيه من أهدافنا وآمالنا في الحياة.. إنها مأساة مضحكة.. ولكنه على رأي المتنبي ضحك كالبكاء.

الفرق الأساسي بين أحزان جاهين في هذه القصائد والحزن الذي عبر عنه الشاعر الشعبي التقليدي القديم، هو أن الشعر الشعبي القديم نشأ أصلاً في الريف أو في مناطق البدو، ولذلك كانت أحزانه غالبًا هي تحزان الجماعة، أما أحزان هذه القصائد فهي الفرد الذي يواجه تجربة الحياة وحيداً.

...

لا يمكن رسم صورة كاملة لهذا الديوان دون الوقوف أمام القيم الفنية التي يمثلها ويعبر عنها، فصلاح جاهين هو أول شاعر شعبي كتب ما يمكن أن نسميه " بالشعر الحر " وحركة الشعر الحر حركة معروفة في الشعر الفصيح، ولم تكن معروفة في الشعر الشعبي، وهذا الشكل الفني كسب كبير للشعر الشعبي، فقد أصبحت صلته بالحياة الفكرية صلة مباشرة بحيث يتأثر بحركات التطور والتجديد فيها، ولا شك إن صلاح جاهين قد اكتشف هذا الشكل الجديد للقصيدة الشعبية بعد أن قرأ لعبد الرحمن الشرقاوي ونازك الملائكة ولويس عوض وغيرهم من شعرائنا الذين كانوا طليعة لحركة الشعر الجديد في الأدب العربي الحديث، وبهذا خرج الشعر الشعبي إلى الحياة يتأثر بها ويتفاعل معها، لقد لبس الشعر الشعبي ثوب العصر بدلاً من الثياب القديمة البدائية التقليدية.

وفي هذا الديوان صور غنائية تصلح مادة أولى لمسرحية قصيرة، وقد استفاد الشاعر في هذه الصور من الشكل الجديد للقصيدة، فأقام بناءً فنيًا اعتمد فيه على الحوار والشخصيات، وهو بذلك يفتح لنفسه وللشعراء الشعبيين باباً جديداً لكتابة المسرحية الشعرية الشعبية، وأعتقد أنه لولا الاستفادة من الشكل الجديد للقصيدة، لما كانت المسرحية الشعبية ممكنة من الناحية الفنية.

وفي هذا الديوان نوع واضح ولكنه عميق من الموسيقى. ويستخدم الشاعر هذه الموسيقى الجميلة بشتى مستوياتها.. وأبسط صور هذه الموسيقى هو النغم الخارجي، الوحيد الإيقاع. الذي لا يتموج إلا موجات سريعة ولكنها رشيقة:

" ولد وبنت

ولد وبنت

كل الجنينة.. ولد وبنت

خجلانه هيه

ومستحية

لكن هنية

قال كلمة هو

وف قلبه جوه

ناره القوية "

وتزداد هذه الموسيقى عمقًا وتموجًا في قصائد أخرى:

" حصنت عودي باغني

عود الحبيبة فتنى

أغنى غنوة حزينة

والا ح تبعدها عنى

.....

والحلم يلمس فؤادي

يهمس يغنى ينادي "

وتصل هذه الموسيقى إلى أرقى صورها وأعمقها. إلى مستوى " سيمفوني " تتنوع فيه الأنغام وتتداخل. لتعبر عن العمق والتموج الواسع والامتداد وذلك عندما تتبنى روح " الموال ".. "والموال ".. غناء نائح.. شوق إلى البعيد البعيد .. أسى مستسلم يمضغ نفسه ويكررها ويدور حولها.

وأروع صورة لهذه الموسيقى السيمفونية ذات الطابع المتعدد المتنوع تلك القصيدة الجميلة التي سماها الشاعر أغنية إلى ذكرى صديق.

"الشعر شادر في الجبل منى

عملت انا هجان ورحت وراه

.....

تسقى الرياح سبعين صباح وصباح

قلبي دليل وانا وراه سواح

والشعر شارد في الجبل مني

.....

حبيت غزال غنيت له بالموال

صد الغزال ساق الدلال أهوال

غنيت له رصد

هجر بقصد

غنيت صبا

جافي ونبا

غنيت له بباتي "

هنا أنغام متنوعة متداخلة. تبدأ طويلة ممتدة تعتمد على أكثر من حركة. ثم تعود للاعتماد على حركة واحدة. وترتد بعد ذلك إلى الطول والامتداد... هذا التناول الموسيقي الجميل يعطي للديون طابعًا حلوا قريبًا إلى النفس وقد يقول البعض إن الشعر دائمًا يعتمد علي الموسيقى. ولكن الواقع أن هناك شعراء. بعضهم مجيدون ينقصهم إلى حد كبير عنصر الموسيقى ، وأود أن أذكر هنا علي سبيل المثال شاعرًا عربيًا كبيرًا هو خليل مطران.. إن عنصر الموسيقى عنده خافت. وأنغامه واحدة رتيبة غير متنوعة... وهو يعتمد على عناصر فنية أخرى غير عنصر الموسيقى.

ومما يتصل اتصالاً وثيقًا بقضية القصيدة عند صلاح جاهين استخدامه للألفاظ فهو يختار ألفاظًا ذات إيحاء عميق ،ويلتقط اللفظة ذات التاريخ الشعبي ويستخدمها استخدامًا حلوًا مثيرًا أو يختار اللفظة الدالة حتى لو لم تكن لفظة شعبية.

وفي قصائد الديوان أمثلة كثيرة لاستخدام الألفاظ استخدامًا فنيًا ناجحًا، فلفظة معجباني مثلاً، لفظة شعبية عريقة وقد استخدمها الشاعر وهو يصف القطن:

" يا معجباني يا ابيض يا معجباني

يا قطن يا للي مبيض وش الغيطاني "

فهي لفظة تدل دلالة عميقة على الإحساس الذاتي بالجمال،وهو إحساس مكمل للجمال نفسه.. إنه ليس تعبيرًا عن غرور الجميل بنفسه. ولكنه تعبير عن الدلال. عندما يشعر الجميل أنه جميل.. فيتباهى ويغتر. ولكلمة " معجباني " تركيب شعبي رائع يدل على هذا المعنى.

وفي قصيدته الطويلة الجميلة أهل الهوى يقول عن كيلوبترة:

" من عشقها لحسنها خافت عليه يحتار

واختارت الانتحار.. المعجبانية "

فهنا تعطينا لفظة " معجبانية " تفسيرًا جميلاً لانتحار كليوبتره. إنه نوع من عشق الجمال لنفسه، وليس هناك أبرع في الدلالة على هذا المزاج الفني من لفظة " المعجبانية "..إنها تجعل الانتحار نوعًا من الدلال والاعتزاز والتصرف الأنثوي!

ولست أريد أن أستطرد في تحليل هذه الظاهرة فمن السهل أن يلمسها القارئ بوضوح في هذا الديوان.. ولكن لابد أن أشير هنا إلى ظاهرتين فنيتين لهما أهمية في استخدام صلاح لألفاظه. وهما يكملان الصورة التي أقصد إلى إبرازها.. فعندما يقول صلاح جاهين في قصيدة القطن:

" يا معجباني يا ابيض يا معجباني

يا قطن ياا للى مبيض وش الغيطانى "

يستخدم حركة " الكسر " في القافية، والواقع أن هذه الحركة ميراث شعبي جميل، فالشاعر العربي يميل كثيراً إلى " الكسر " ولا يميل في قوافيه على الأخص – إلى السكون.. ذلك لأن الكسر حركة متموجة توحي بالامتداد والاتصال، وهو نوع من النغم الحلو الذي يعبر به الشاعر الشعبي عن حالته النفسية تعبيراً موسيقياً جميلاً.

وما أشبه هذا " الكسر " في قصيدة القطن بما يقوله الشاعر الشعبي القديم في إحدى قصائده:

" النور اشتكى مني وقال يا دراعي

فرقلتك تاجي على الأوجاعي

والبقرة قالت مالي مقداري

ده الحيل والقوة للتيراني "

أما الظاهرة الفنية الثانية فهي استخدام المتقاربة التي تدل على حالة معينة وقد أشرت إلى مثال سابق في قصيدة " الأرض ". وأشير هنا إلى مثال آخر من قصيدة " أهل الهوى " أيضاً.. يقول الشاعر: " الريح تباريح جريح ما بنتهيله أنين "

فعبارة " الريح – تباريح – جريح –" تعطينا هنا معنى من خلال الموسيقى، إنها حركة ريح حزينة، تعبر عنها تموجات موسيقية متشابهة تدل على معناها أعمق الدلالة.. إن معنى الألفاظ ليس وحده هو الذي يعطينا الدلالة، ولكنه التركيب الصوتي أيضاً، بل التركيب الصوتي أولاً هو الذي يعطينا هذه الدلالة.

وصلاح جاهين يستخدم هذه التراكيب الصوتي كثيراً، إنه يستخدم الحروف المتشابهة للدلالة على معان خاصة تكون قريبة من صوت هذه الحروف.

وفي قصيدة القطن التي أشرنا إليها يستخدم الشاعر " التكرار " المعروف في الشعر الشعبي، فصلاح جاهين يقول في هذه القصيدة:

" يا معجبانى يا ابيض يا معجبانى

يا قطن يا اللى مبيض وش الغيطانى

" يا معجبانى يا ابيض يسعد صباحك

يا قطن يا اللي مبيض وش فلاحك "

والشاعر الشعبي يقول:

" وده قبر مين اللي البقر هذه

ده قبر الغريب اللي فاتوه أهله

وده قبر مين اللي البقر داسه

ده قبر الغريب اللي فاتوه ناسه "

فعبارة " وده قبر مين اللي البقر " وعبارة " ده قبر الغريب " تتكرران. كذلك يفعل الشاعر في قصيدة القطن، ودلالة التكرار دائمًا هي تعميق المعنى، ومن الواضح أن البيتين السابقين للشاعر الشعبي القديم يعبران عن معنى واحد باختلاف ألفاظ قليلة، ولكن هذا التكرار الجميل يحمل إلى النفس إحساساً بالتركيز الشعوري على صورة واضحة، وهذا النوع من التكرار هو أسلوب فني شائع معروف في الشعر الشعبي، ولا يبدو التكرار متألقاً جميلاً يحمل دلالة عميقة بهذه الصورة كما يبدو في الشعر الشعبي.

وفي الديوان تلمح ظاهره أخرى هي تسرب بعض الألفاظ الشامية إلى النص الشعبي الذي يستخدم العامية المصرية، وفي هذا الامتزاج الذي نلاحظه في بعض قصائد الديوان بين العامية الشامية والعامية المصرية علامة من العلامات المصرية حيث تتسع التجربة العربية وتتلاقى أجزاؤها المختلفة.. حتى في الصورة الفنية.. وصلاح جاهين يتجاوب مع الحركة العربية التي تتجه إلى الوحدة والالتقاء تجاوباً عميقًا، وقد سافر الشاعر إلى الإقليم الشمالي ولبنان، وقرأ شعراً شعبياً شامياً، وأذكر من قراءاته ديوان أمين نخلة المشهور باسم " المعنى ".. ولذلك فلم تكن الألفاظ الشامية غريبة على أذنه أو على إحساسه، بل إنني أستطيع أن أقول إن صلاح جاهين من أكثر الذين يعرفون أسرار جمالها الخصب.

وعندما نتحدث عن هذا الديوان من الناحية الفنية يجب أن تقف أمام " الخيال الشعري " فيه.. هناك شعراء تبرز عندهم القدرة على التصوير الشعري. فتتفوق على غيرهم من عناصر الفن.. ولست أقول إن الخيال الشعري عند صلاح جاهين هو أقوى ما فيه، ولكني أقول: إن الخيال الشعري عنده يعتبر من أقوى وأبرز ملكاته الفنية.

وسأقف عند بعض الصور التي اخترتها على سبيل المثال.. ففي قصيدة عن عمان يقول:

" عمان يا نقطة دم فوق الرمال "

... فالمدينة المكافحة تتحول في خياله الشعري إلى نقطة دم.. وهي نقطة ثابتة بارزة فوق الرمال.. لا الرمال تمتصها أو تغطيها ولا هي تنتهي وتتلاشى.. إنها نقطة دم خالدة.

وفي قصيدة " إلى ذكرى صديق " يقول:

" عصفور جناحه بدمه متحني "

ثم يقول:

" يا عندليب ع المشنقة عشه "

وفي القصيدة نفسها يقول:

" الغنوة زرقا والكلام بجناح "

في كل هذه الصور الشعرية تبرز القدرة الغريبة على التصوير.. فالشاعر المكافح هو: عصفور يغنى وجناحه " متحني " بدمه... أو هو: عندليب على المشنقة عشه.. إنها صور حية بارزة مميزة تعبر عن خيال يسير في طرقه الخاصة به، ولا يسير في الطريق المألوفة التقليدية.

وفي قصيدة " البكائية " يتصور الشاعر المسيح وقد نزل من فوق الصليب ونزل المسيح لينام في "مرج دمع ".. وتلك صورة شعرية غريبة توضح لنا إلى أي حد يبلغ خيال الشاعر عندما يحلق به في آفاق جديدة حقًا.. إن " مرج الدمع " تقدم لنا تجسيداً فنياً رفيعًا للحزن... وهي صورة جديرة بالتأمل العميق، والصورة الأساسية نفسها، وهي نزول المسيح من فوق الصليب، تحتاج إلى خيال جريء...

والفن العربي عمومًا، يشكو من النقص في جرأة الخيال وطموحه فليس في أدبنا كله أكثر من موقفين أو ثلاثة تدل على تحليق الخيال العربي، وهذه المواقف هي فكرة: أبو العلاء " في رسالة الغفران، فقد تجرأ خياله الأدبي وتصور عالم الجحيم والجنة، وبنى صورة لهذا العالم، وهناك قصة " حي بن يقظان " لابن طفيل التي تصور فيها إنسانا يعيش في جزيرة منعزلة يبحث عن معنى المجهول وسر الحياة، وهناك أخيراً بعض قصص ألف ليلة.. ولكن الطابع العام للخيال الأدبي عند العرب والخيال الشعري على وجه خاص هو القصور، والعجوز عن التحليق ولذلك لم يظهر في أدبنا شاعر مثل ملتن أو بيرون. اللذين تصورا عصيان الشيطان في صورة التمرد والبحث عن المعرفة، وربطا بين فكرة التمرد وبين الطموح، وليس عندنا شاعر مثل شيكسبير أو دانتي.. فالشائع في شعرنا العربي أن الشاعر يطير بجناحين صغيرين.. لا يقدران على التحليق فالخيال كسول قاصر الطموح، ومحدود بالواقع المادي، مشغول برسمه وتنظيمه عن طريق الحكمة والفلسفة.

ولذلك فأنا أعتقد أننا عندما نعبر على ملكة "الخيال الشعري " الراقي عن شاعر من الشعراء، فإننا نكون بذلك قد عثرنا على شيء مهم بالنسبة لأدبنا

وفي هذا الديوان نوع من الخيال الراقي. ودرجة من درجات هذا الخيال الجريء.

إن صورة المسيح بعد النزول من فوق الصليب والوقوف أمام هذا " النزول " موقفاً شعرياً، يعتبران لمحة من لمحات الخيال الشعري القوي القادر على الابتكار.. إن الخيال الشعري القوي يفتح ميداناً خصباً للفن، ويشير إلى نبع غني بالشعر!.

وفي هذه القصيدة أيضًا يوحد الشاعر بين "المجدلية " وبين العذراء: أم المسيح... وهو بذلك يعطينا أيضًا صورة من صور الخيال الذي يجيد تركيب الصور والتقاطها. فالمجدلية نبع من منابع الحنان والحب، والعذراء نبع من منابع الحنان والحب.. إنهما يقومان في نظر الشاعر بوظيفة واحدة بالنسبة لعذاب المسيح من أجل الخير والعدل.. ولذلك فهما في خيال الشاعر شيء واحد.

وأحب أن أشير هنا إشارة سريعة إلى أن صلاح جاهين كثيرًا ما يوحد بين الأم والحبيبة والطبيعة، فكلها صور للحنان والرعاية بالنسبة للإنسان الذي يبحث عن منطقة أمان لنفسه في هذا الوجود.. فلا يجد في آخر الأمر غير صدر حنون هو صدر الأم أو صدر الحبيبة أو صدر الطبيعة.

نعود بعد ذلك إلى الصور الشعرية في الديوان.. يقول الشاعر في قصيده " يا بو قلب وحيد ":

" يا غريب قلبي أنا أرض المعاد "

وفي قصيدته أهل الهوى يقول عن عطيل:

" بياض عيونه لمع من ضي حلاوتها "

وفي مسودة قصيدة له يقول:

" أبدأ منين وانا قلبي من غير عنين؟ "

وفي قصيدة عن الجزائر يقول:

" يا دم يا احمر

ع الزرع الاخضر

أهل الجزاير بدورك

عشان تزهر "

ويقول في أغنيته المشهورة:

" والله زمان يا سلاحي

اشتقت لك في كفاحي "

إن هذه الصورة الشعرية كلها تبرز مقدرة على التخيل تستحق الاهتمام... فالقلب للغريب " أرض المعاد ".. والحزن هو " قلب من غير عينين "... والمكافحون يبذرون الدم – كأنه نجوم – لكي يصبح أزهارًا وثمارًا... والمكافح أيضًا يلتقي بسلاحه في مودة وعاطفة رقيقة وصداقه... " والله زمان يا سلاحي "... إنه لا يحمل السلاح.. ولكنه يداعبه

ويربت على ظهره ويحضنه.. ويثق به!

...

في بعض قصائد الديوان تبرز القدرة على التفكير فتفوق المقدرة الفنية للشاعر.. وهذا هو سبب ما يقابلنا أحيانا في هذا الديون من أبيات ركيكة، وألفاظ غير شعرية، وجو فني تفوح منه رائحة العقل ولا ترطبه رائحة الشعور.

في قصيدة أهل الهوى يقول صلاح:

" الناس يتتهنى مهما يكونوا منحطين."

فكلمة " منحطين " هنا ليست شعرية، كما إنها لا تؤدى المعنى الذي يريده الشاعر، فهو يريد أن يقول بسطاء أو عاديين.. لكن الانحطاط له معنى أخلاقي لا يقصده الشاعر أبدًا فيما أعتقد.. وفي قصيده على الربابة تتركز ظاهرة تغلب " العقل " على الشعور بشكل واضح، إن هذه القصيدة الطويلة مليئة بالصور الفنية الناجحة إذا أخذناها كجزيئات منفصلة. فالإحساس " خنجر، بين التياب متعان " و " المعارك لها أوزان "... كأنها قصائد. وبورسعيد " محنية رجليها بدما العدوان ".. كل هذه الصور الجميلة الراقية.. لا تعطى للقصيدة تجربة شعورية كاملة، فالقصيدة مليئة بالأفكار السياسية، والتاريخية.. ولكنها لا تعتمد على تجربة نفسية واحدة عميقة.. ومن هنا أصبحت نوعا من التفكير الذي تنقصه الحرارة والجو النفسي المناسب.

والعيوب الفنية التي تقابلنا في هذا الديوان مصدرها واحد دائمًا هو: غلبة العقل على الشعور، وتفوق الفكرة على الإحساس، وصلاح جاهين، بل وكل فنان أصيل، لابد أن يقوم فنه على التوازن بين الإحساس والفكر.

وهذا ما نجده في معظم صفحات الديوان الذي لا يفوته النضج الفني إلا في أجزاء قصيرة محدودة

* * *

إن اسم هذا الديوان هو تعبير عن " المزيج الإنساني" الذي يتناوله الشاعر، فهو تارة يسمو إلى عالم شعري نقي جميل، ومرة يعود إلى حياة الناس بهمومها ومتاعبها وآمالها.. إنه يصعد أحيانًا إلى القمر، حيث صورة الحياة حلوة وهادئة ثم يعود إلى الأرض، حيث صورة الحياة صاخبة مليئة بالأشياء الصغيرة العادية... إنه يتراوح بين الحلم والواقع.. وبين الشعور الشفاف والأشياء الحسية الملموسة الكثيفة ، لا يكاد أحد العاملين يجذبه حتى يشده الآخر إليه.. والقمر والطين هما في النفس والشعور، وليسا في العالم الخارجي والقمر رمز والصفاء ، والطين هو رمز الاضطراب.. والصفاء، والاضطراب أو القلق، لهما نفس القيمة في حساب الإنسانية.

ولكنه في كل المواقف شاعر فنان: بإحساسه العميق. وخياله الخصب الذي يعتبر من الخيالات الشعرية النادرة في أدينا الحديث... ثم بقيمة الإنسانية التي يؤمن بها في معظم الأحايين فتثير شاعريته وتشعلها ثم يشك فيها وفي نفسه وفي الوجود كله في أحيان أخرى.. فيكون هذا الشك العاصف أيضًا مصدرًا خصبًا من مصادر الشعر.

إن شخصية صلاح جاهين شخصية خصبة متنوعة الجوانب، وليست من الشخصيات السهلة المحددة ذات الجانب الواحد، والسطح المستوي الذي لا تعقيد فيه.. على العكس.. إنها شخصية متعرجة تتراوح بين الهدوء والصخب، والارتفاع والانخفاض والسخرية والمرارة!

وفي هذا الديوان بعض جوانب هذه الشخصية الفنية... يستطيع القارئ أن يعيش معها لحظات عميقة، تزيد رصيده من المشاعر والأفكار.